أخبار طويس

اسمه وكنيته ولقبه

وهو عيسى بن عبد الله . وكُنيته أبو عبد المُنعم . وغَيّرها المُخنَّثون فجعلوها ، أبا عبد النَّعِيم .

وهو مولَى بنى مَخْزوم .

وطُوَيس ، لَقب غَلب عليه .

شيء عن غنائه وخلقه وعلمه

وهو أوّل من غَنَّى بالعربيّة فى المدينة . وأوّل من أَلْقى الخَنَث بها . وكان أحولَ طويلاً . وكان لا يضْرب بالعُود ، إنما ينقُر بالدفّ . وكان ظريفاً عالماً بأمر المدينة وأنساب أهلها . وكان يُتَّقى لسانُه .

من شؤمه

وذُكر أنه وُلد يومَ تُوفِّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وفُطم يوم تُوفِّى أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه ، وخُتِن يوم قُتل عُمر رضى الله عنه ، وزُوِّج يوم قُتل عثمان رضى الله عنه ، ووُلد له يومَ قُتل علىّ رضى الله عنه . وقيل : وُلد له يوم مات الحسن بن علىّ عليهما السلام .

عن أمه

ورُوى عنه أنه قال : كانت أُمى تَمشى بين نساء الأَمصار بالنَّمِيمة .

تسميته بالذائب

وقيل : أوّل غِناء غنّاه :

كيف يأتِى من بَعيدٍ ... وهو يُخْفيه القَريبُ

نازحٌ بالشأم عنّا ... وهو مِكْسال هَيُوب

قد برانى الحبُّ حتى ... كِدْتُ من وَجْدى أَذُوب

فسُمِّى « الذائب » لذلك .

هيت المخنث وباديةبنت غيلان

وذُكر أنَّ هِيت المُخنَّثَ قال لعبد الله بن أبى أُميَّة المَخْزومى ، وهو أخوأُم سَلَمَةَ زَوْج النبىِّ صلّى الله عليه وسلّم ، والنبىُّ صلّى الله عليه وسلّم يُحاصر الطائفَ : إن فتح الله عليكم الطائفَ فسلِ النبىَّ صلّى الله عليه وسلّم بادية بِنْت غَيْلان بن سَلَمة ابن مُعتِّب، فإنها هَيفاء شَمُوع[1] نجْلاء ، إن تكلَّمت تغنَّت، و إن قامتْ تثنَّت، تُقبل بأربع وتُدْبر بثمان[2] ، مع ثَغْر كأنه الأُقْحوان ، و بين رجليْها كالإناء المُكْفأ . كما قال قيسُ بن الخَطيم :

تَغْترق الطرفَ وهى لاهيةٌ كأنما شفَّ وجهَها نُزُفُ[3]
بين شُكُول النِّساء خِلْقتُها قصْدٌ فلا جَبْلةٌ ولا قَضَف[4]

فقال النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم : لقد غلْغلت النَّظرَ يا عدوَّ الله ! ثم جَلاه عن المدينة إلى الجمّاء[5] . فلما فُتحت الطائفُ تزوَّجها عبدُ الرحمن بن عَوف رضى الله عنه ، فولدتْ له بُريهة . ولم يزل هِيتٌ بذلك المكان حتى تُوفِّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلمّا وَلِى أبو بكر الصدِّيق رضى الله عنه كُلِّم فيه ، فأبى أن يرُدَّه . وقال : إن رأيتُه ضربت عُنقه . فلما وَلى عُمر رضى الله عنه كُلِّم فيه . فأبَى أن يردَّه . فلمّا ولى عثمان رضى الله عنه كُلِّم فيه . فأبى أن يرُدَّه . فقيل له : إنّه كَبِر وضعُف واُحتاج . فأَذِن له أنْ يدخُلَ فى كُل جُمعة فيسأل ويَرْجع إلى منزله .

وكان هيتٌ مولًى لعبد الله بن أبى أُميَّة بن المُغيرة ، وكان طُويس له ، فمن ثمَّ قيل : الخنِث .

(١) الشموع : اللعوب الضحوك . (٢) يريد أن عكن بطنها إذا أقبلت أربع وإذا أدبرت ثمان .
(٣) تغترق ، أى تشغلهم بالنظر إليها عن النظر إلى غيرها بحسنها . وشفه : جعله رقيقاً بادى المحاسن . والنزف ، بالضم ، وحرك للشعر : الاسم من نزف الدم ، إذا أخرجه كثيراً حتى يضعفْ صاحبه ، والنزف : الضعف الحادث عن ذلك . وقيل : النزف ، ها هنا : الجرح الذى ينزف عنه دم الإنسان . يريد أنها رقيقة المحاسن حتى كأن دمها منزوف .
(٤) الشكول : الضروب ، الواحد : شكل ، بالفتح . وجبلة : غليظة . وقضف : دقيقة قليلة اللحم . (٥) الجماء : جبل بالمدينة على ثلاثة أميال من العقيق .

من إغرائه بين الأوس والخزرج

وقيل : كان طُويس ولعاً بالشِّعر الذى قالتْه الأوس والخزرج فى حُروبهم ، وكان يُريد بذلك الإغراءَ بينهم ، فقلَّ مجلسٌ اُجتمع فيه هذان الحيَّان فغنَّى فيه طُويس إلا وقع فيه شىء ، فنُهِى عن ذلك ، فقال : والله لا تركتُ الغناءَ بشعر الأنصار حتى تُوسِّدونى التراب ؛ وذلك لكثرة تولُّع القوم به . وكان يُبْدى السرائرَ ويُخرج الضمائر[1] ، فكان القوم يتشاءمون به . وكان يُستحسن غناؤه ولا يُصبر عن حديثه . فغنَّى يوماً بشعر قيس بن الخطيم ، حتى بلغ قولَه :

أَبلغْ بني جَحْجَبى وقومَهمُ حَطْمَة أنّا وراءهم أُنُفُ

فتكلّموا وانصرفوا ، وجرتْ بينهم دماء ، وانصرف طُويس من عندهم سَليماً لم يُكلَّم ولم يُقَل له شىء .

حديث نزول عبد الله بن جعفر به فى إخوان له

وقيل : كان عبدُ الله بن جَعفر بن أبى طالب معه إخوان له[2] فى عَشيَّة من عشايا الرَّبيع ، فراحت عليهم السماء بمطر جودٍ فأسال كُلَّ شىء . فقال عبد الله : هل لكم فى العَقيق ؟ وهو مُتنزَّه أهل المدينة فى أيّام الرّبيع والمطر . فركبوا دوابَّهم ثم انتهَوْا إليه ، فوقفوا على شاطئه وهو يرْمى بالزَّبَد مثل مدِّ الفُرات . فإنهم لينظُرون إليه إذ هاجت السماء . فقال عبدُ الله لأصحابه : ليس معنا جُنَّة نَستجِنُّ بها . وهى سماء خليقة أن تَبُلَّ ثيابَنا ، فهل لكم فى منزل طُوَيس فإنه قريبٌ منّا فنستكنَّ فيه ويحدِّثنا ويُضحكنا ؟ قال : وطُويس فى النظّارة يَسمع كلامَ عبد الله بن جعفر . فقال له عبدُ الرحمن بن حسّان بن ثابت : جُعلت فداك ! وما تُريد من طُويس؟ عليه غَضبُ الله ! مخنَّثٌ شائن لمن عَرفه . فقال له عبد الله : لا تَقُل ذاك ، فإنّه مَليح خَفيف لنا فيه أُنس . فلمّا استوفى طويسٌ كلامَهم تعجَّل إلى منزله فقال لامرأته : وَيْحَكِ ! قد جاء عبد الله بن جعفر سيِّدُ الناس ،

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الضغائن » .

(٢) فى الأصل : « أحداث » مكان « إخوان له » .

فما عندكِ ؟ قالت : نذبح هذه العناق[١] — وكانت عندها عُتَيِّقَةٌ قد ربَّتها باللبن[٢] — ونختبز رُقاقاً . فبادر فذبحها واختبزت هى . ثم خرج فتلقّاه مُقبلاً إليه . فقال له طُويس: بأبى أنتَ وأُمى هذا المطر ! فهل لك فى المَنزل تستكنُّ فيه إلى أن تكُفَّ السماء ؟ قال : إيّاكَ أُريد . قال : فامضِ على بَركة الله . وجاء يمشى بين يديه حتّى نزلوا ، فتحدّثوا حتى أدرك الطعام . فقال : بأبى أنت وأُمى ! تُكرمنى إذا دخلت منزلى بأن تعشى عندى . قال : هاتِ ما عندك . فجاءه بعناقٍ سَمينة ورُقاق . فأكل القوم حتى شَبِعوا وأعجبه طِيبُ طعامه . فلما غَسَلوا أيديهم قال : بأبى وأُمى ! أتَمشّى لك[٣] وأُغنيك ؟ قال : افعل يا طويس . فأخذ مِلْحفةً فاتّزر بها وأرخَى لها ذَيْن ، ثم خذ المُرَبَّع[٤] فتمشّى وأنشأ يغنّى :

يا خليلِى نابنى سُهدى ... لم تنَم عينِى ولم تَكَدِ
فَشرابى ما أُسِيغ وما ... أشْتكى ما بى إلى أحد
كيف تَلحون[٥] على رجُلٍ ... آنسٍ تَلتذُّه كَبِدِى
مثلُ ضوء البدرِ صُورته ... ليس بالزُّمَّيلة[٦] النَّكد

فطرِب القوم وقالوا : أحسنتَ والله يا طُويس ! ثم قال : يا سيدى ، أتدرى لمن هذا الشعر ؟ فقال : لا والله ، لا أدرى لمن هو ؟ إلّا أنى سمعتُ شعراً حسناً . قال : هو لفارعة بنت ثابت أختِ حسّان بن ثابت ، وهى تتعشّق عبدَ الرحمن ابن الحارث بن هشام المَخزومى ، وتقول فيه هذا الشعر . فنكّس القومُ رءوسَهم . وضَربَ عبدُ الرحمن بن حسّان برأسه على صدره ، فلو شُقَّت الأرض لدخل فيها .

(١) العناق : الأنثى من ولد المعز . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « باللبن » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « معك » .
(٤) المربع : يريد دفا . وسيأتى ذكر ذلك (ص ٣٢٧) من هذا الجزء .
(٥) تلحونى : تلومنى وتعذلنى .
(٦) الزميلة : الرذل الجبان الضعيف ، يتزمل فى بيته خوفاً وجبناً .

هو وجارية تبعها فزجرته

وقيل : إنّ طويساً تبع جارية ، فراوغته فلم ينقطع عنها . فوقفت على مجلسٍ لقوم ثم قالت : ياهؤلاء ، لى صديق ولى زَوج ومولًى ينكحوننى . فسلُوا هذا مايُريد منى ؟ فقال : أُضيِّق ما وسَّعوه . ثم جَعل يُغنِّى :

أَفِقْ يا قلبُ عن جُمْلِ ... وجُملٌ قطَّعت حَبْلِى
وكيف يُفيق مَحْزونٌ ... بجُمْلٍ هائمُ العقلِ
بَراه الحُبّ فى جُملٍ ... فحَسبى الحبُّ من ثِقْلِ
وحَسبى فيكِ ما أَلقى ... من التَّفْنيد والعَذْلِ
وقد وَبَّخنى فيها ... فلم أُحْفِل بهم أهلى

هو والرجل المسحور

وحكى بعضُهم قال :

خَرجنا فى سَفر ومعنا رجل ، فانتهينا إلى وادٍ ، فدعَوْنا بالغَداء . فمدَّ الرجُل يدَه إلى الطعام فلم يقْدِر عليه ، وهو قبل ذلك يأكل معنا فى كُل منزل . فخرجنا نسأل عن حاله . فلَقينا رجلاً طويلاً أحولَ مضطربَ الخَلْق فى زىّ الأَعراب ، فقال لنا : ما لكم ؟ فأنكرنا سؤالَه لنا . فأَخبرناه خبرَ الرجل . فقال : ما اسمُ صاحبكم ؟ فقلنا : أسد[1] . فقال : هذا وادٍ قد أُخِّذت[2] سِباعُه ، فارحلوا ، فلو قد جاوزتم الوادى استمرّ[3] صاحبكم أسدٌ وأكل . فقُلنا فى أنفسنا : هو[4] من الجِنّ ، ودخلتنا فَزْعة . ففهم ذلك وقال : ليُفْرِخ رَوْعكم[5] فأنا طُويس . فقال له بعضُ من معنا من بنى غِفار — أو من بنى عَبْس — : مرحباً بك يا أبا عبد النَّعيم ، فما هذا الزِّىّ ؟ فقال : قد دَعانى بعضُ أودَّائى من الأعراب فخرجتُ إليهم ،

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أسيد » .
(٢) أخذت : سحرت .
(٣) استمر : قوى واستقام أمره .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « هذا » .
(٥) ليفرخ روعكم : ليذهب رعبكم وفزعكم .

وأحببتُ أن أتخطَّى الأحياء فلا يُنْكرونى . فسألت الرجل أن يُغنِّينا . فاندفع ونقر بدُفٍّ كان معه مُربَّع . فلقد خُيِّل إلىَّ أنّ الوادى يَنْطق معه حُسناً ، وتعجّبنا من عِلْمه وما أخبرنا به من أمر صاحبنا .

وكان الذى غَنَّى به فى شِعر عُروة بن الوَرْد فى سَلْمى امرأته الغِفارية ، حيث رَهنها على الشراب ، وهو :

سَقَوْنى الخمرَ ثم تكنَّفونى ... ألا لله[1] مِن كَذِب وزُورِ
وقالوا لستَ بعدَ فداء سَلْمَى ... بمُغْنٍ ما لديك ولا فَقير
فلا واللهِ لو مُلِّكْتُ أمرى ... ومَنْ لى بالتدبُّر فى الأُمور
إذاً لعصيتُهم فى حُبّ سَلْمَى ... على ما كان من حَسَكِ[2] الصُّدور
فيا للنَّاس كيف غُلِبْتُ أمرى ... على شىءٍ ويكرهُه ضَميرى

حديث عروة وامرأته سلمى الغفارية

ثم ذكر أبو الفرج سَبب هذه الأبيات ، فقال :

لما غزا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بنى النَّضير من اليهود وأَجلاهم عن المدينة ، خَرجوا يُريدون خَيْبر يَضربون بالدُّفوف ويَزْمُرون بالمَزامير ، وعلى النِّساء المُعَصْفراتُ وحُلِيُّ الذَّهب ، مُظْهرين بذلك تجلُّداً ، ومرَّتْ فى الظُّعن[3] يومئذٍ سَلمَى امرأة عُروة بن الوَرد ، وكان عُروة حَليفاً فى بنى عمرو بن عَوْف ، وكانت سَلمى من بنى غفار ، فسباها عُروة من قومها ، وكانت ذات جمال فولدتْ له أولاداً . وكان شديدَ الحُبّ لها ، وكان ولدُه يُعيِّرون بأُمهم ويُسَمُّون بنى الأَخيذة ، أى السبيَّة . فقالت : ألا ترَى ولدك يُعيِّرون ! قال : فماذا ترَيْن ؟ قالت : أرى أن تَرُدَّنى إلى قومى حتى يكونوا هم الذين يزوِّجونك . فأنعم لها[4] . فأرسلت

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عداة الله » مكان « ألا لله » .
(٢) الحسك : الشوك . ويريد بحسك الصدور ، الحقد والعداوة .
(٣) الظعن : جمع ظعينة ، وهى المرأة فى هودجها . (٤) أنعم لها : قال لها : نعم .

إلى قومها : أنِ الْقَوْه بالخَمر ثم اتركوه حتى يَسكَر ويَثْملَ ، فإنه لا يُسأل حينئذٍ شيئاً إلّا أعطاه . فلَقُوه ، وقد نزل فى بنى النَّضير ، فسقَوْه الخمر . فلما سَكِر سألوه سَلْمى . فردَّها عليهم . ثم أَنكحوه بعدُ . ويقال : إنما جاء بها إلى بنى النضير . وكان صُعلوكاً بغير مال[1] ، فسقوه الخمر . فلما انتشى منعوه ، ولاشىء معه إلا امرأته فرَهنها عندهم . ولم يزل يشرب حتى غَلِقَت[2] . فلما قال لها : أنْطلقِى . قالوا[3] : لا سبيلَ إلى ذلك ، فقد أَغْلقتها[3] . فبهذا صارت عند بنى النَّضير . فقال فى ذلك الشعرَ المُتقدِّم ذكرُه .

مروان بن الحكم والنغاشى المخنث وطويس

وذُكر أنه كان بالمدينة مُخَنَّث يقال له النُّغَاشىّ ، فقيل لمروان بن الحكم : إنه لا يقرأ من أُمِّ الكِتاب شيئاً . فبَعث إليه ، وهو يومئذ والٍ على المدينة ، فأُسْتقرأه أُمَّ الكتاب . فقال : واللهِ ما معى من بناتِها شىء فكيف أَقرأ أُمهم ! فقال : أَتهزأ ! لا أُمَّ لك ! فأَمر به فقُتل فى موضع يقال له : بَطِحَان[4] . وقال : مَن جاءنى بمخنَّث فله عشرة دنانير . فأُتى طُويسٌ ، وهو فى بنى الحارث ابن الخزرج من المدينة ، وهو يُغنِّى بشعر حسَّان بن ثابت الأَنصارى :

لقد هاج نفسك أشجانُها وعاودها اليوم أَدْيانُهـا

فأُخبر بمقالة مَرْوان ، فقال : ما فضَّلنى الأميرُ عليهم بفَضل حين جعل فىّ وفيهم شيئاً واحداً ! ثم خَرج حتى نَزل السُّوَيداء — على ليلتين من المدينة فى طريق الشأم — فلم يزل بها عُمْرَه .

موته

ومات فى خلافة عبد الملك بن مَروان .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « يغير » من الإغارة .

(٢) غلق الرهن فى يد المرتهن : استحقه ، ولم يقدر الراهن على افتكاكه فى الوقت المشروط .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « قالت ..... أغلقتنى » .

(٤) بطحان ، بفتح أول وكسر ثانيه : واد بالمدينة .

أخبار سعيد الدارمى

نسبه وحلفه وشىء عنه

وهو من ولد سُوَيد بن زيد . وحِلْفُه إلى بنى نَوفل بن عبد مَناف . وكان فى أيّام عُمر بن عبد العزيز . وكان له أشعار ونَوادر وأصوات من الغناء . وكان من ظُرفاء أهل مكّة . وهو القائل :

ولّما رأيتُك أوليتنى الْـــقبيحَ وأبعدتَ عنّى الجَمِيـــلَا
تركتُ وِصالَك فى جانبٍ وصادفتُ فى النَّاس خِلًّا بَدِيلَا

حديث تنفيقه خمراً سودا

وقيل : قَدم تاجر من أهل الكوفة بخُمُرٍ[1] فباعها و بَقيت السُّود منها فلم تَنفُقْ[2] . وكان صديقاً للدارمىّ ، فشكا ذلك إليه ، وقد كان نَسك[3] وترك الغناء وقولَ الشِّعر ، فقال له : لا تهتمّ بذلك فإنّى سأُنَفِّقها[4] لك حتى تَبيعها أجمعَ ، ثم قال :

قُل للمَليحة فى الخِمار الأَسـودِ ماذا فعلتِ براهبٍ مُتعبِّـــدِ
قد كان شَمَّر للصَّلاة ثيابَه حتى وقفتِ له بباب المَســـجد

وغنّى فيه أيضاً سِنانٌ الكاتب ، وشاع فى الناس وقالوا : قد فَتك[5] الدارمىّ ورَجع عن نُسْكه . فلم تَبقَ فى المدينة ظَريفةٌ إلا ابتاعت خماراً أسودَ ، حتى نَفِد ما كان مع العراقىّ منها . فلمّا عَلم بذلك الدارمىُّ رَجع إلى نُسكه ولَزم المسجدَ .

---

(١) الخمر : جمع خمار . وهو ما تغطى به المرأة رأسها .
(٢) تنفق : تروج ويرغب فيها .
(٣) نسك : تزهد وتعبد .
(٤) أنفقها : أروجها .
(٥) فتك : مجن .

ويحكى أبو هَفّان قال : حضرتُ يوماً بعض مجالس قوّاد الأتراك ، وكانت له سِتارةٌ فنُصبت ، فقال لها[١] : غنّ صوتَ الحِمار الأَسود المَليح . فلم نَدْرِ ما أراد حتى غنّت :

* قُل للمَليحة فى الحِمار الأسودِ *

ثم أَمسك ساعةً ، ثم قال لها : غنّى :

* إنى خَريتُ وجئتُ أَنتقله *

فضحكتْ ثم قالت : هذا يُشبهك ! فلم نَدر ما أَراد حتى غنّتْ :

* إنّ الخليط أَجــدَّ مُنْتقله *

من بخله وظرفه

وحكى بعضهم قال : كان الدّارمىّ المَكّىّ شاعراً ظريفاً ، وكانت[٢] مُتفَتِّيات أهل مكّة لا يَطيب لهن مُتنزَّه إلا بالدّارمى ، فاجتمع جماعةٌ منهنّ فى مُتنزَّه لهنّ ، وفيهنّ صديقةٌ له ، وكُل واحدة منهنّ قد واعدتْ هَواها[٣] . فخرجْن حتى أتين الجُحْفة[٤] وهو معهنّ . فقال بعضُهنّ لبعض : كيف لنا أن نَخْلُوَ مع هؤلاء الرجالِ من الدارمىّ ؟ فإنّا إنْ فعلنا قَطّعَنا فى الأرض قِطَعا[٥] . فقالت لهنّ صاحبتُـه : أنا أَكفيكُنّه . قُلن : إنّا نريد ألّا يلومَنـا . قالت : علىّ أن ينصرفَ حامداً . وكان أبخلَ النـاس ، فأتتْه فقالت : يا دارمىّ ، إنّا قد تَفِلْنا[٦] فاجلُبْ لنا طِيباً . قال : نعم ، هو ذا ، آتِى سوقَ الجُحْفة آتيكنّ منهـا بطيبٍ . فأَتى المُكارين فاكترى حِماراً فطار عليه إلى مكّة ، وهو يقول :

(١) كذا فيما بين أيدينا من أصول الأغانى ، يريد الجارية التى أمرها بالغناء . ولم يتقدم لها ذكر .

(٢) تفتت الجارية : راهقت فحبست ومنعت من اللعب مع الصبيان .

(٣) هواها : من تهواه وتحبه .

(٤) الجحفة : قرية بطريق المدينة على أربع مراحل من مكة . وهى ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة . فإن مروا بالمدينة فميقاتهم ذو الحليفة .

(٥) أى إنه يمزق أعراضهن وينشر ذلك فى الأرض بين الناس .

(٦) تفلنا ، أى تغيرت رائحتنا لطول العهد بترك الطيب .

أنا بالله ذى العـــزّ وبالرُّكْن وبالصَّخْرَهْ
من اللّائى يُرِدْنَ الطِّيـ ـبَ فى اليُسرة والعُسْره
وما أقوَى على هـــذا ولو كنتُ على البَصْره

فمكث النسوةُ ما شئن . ثم قدم مكة فلقيته صاحبتُه ليلةً فى الطَّواف ، فأخرجته إلى ناحية المسجد فجعلت تُعاتبه على ذَهابه ويُعاتبها ، إلى أن قالت : يا دارميّ ، بحق هذه البَنِيَّة[1] ، أتُحبِّنى ؟ قال : نعم . فبحقِّ هذه البَنِيّة أتُحبينى ؟ قالت : نعم . قال : فيالَكِ الخيراتُ ! أنت تُحبِّينى وأنا أُحبك ، فما مَدْخل الدراهم بيننا !

هو وعبد الصمد ابن على

وقيل :

كان الدارميّ عند عبد الصَّمد بن عليّ بن عبد الله بن العبَّاس يُحدّثه ، فأَغْفى عبدُ الصمد . فعطَس الدارميُّ عَطْسَةً هائلة ، ففزِع عبد الصمد فزَعاً شديداً وغَضِب غضباً شديداً ، ثم استوى جالساً وقال : يا عاضّ كذا من أُمه ، أتفزِّعنى ، قال : لا والله ، ولكن هكذا عُطَاسى ! قال : والله لأَنْقعنَّك فى دَمك أو لتأتينّى ببيّنة على ذلك . قال : فخرج ومعه حَرسِيٌّ[2] لا يدرِى أين يَذهب به . فلقيه أبو الزِّناد المكّى[3] ، فسأله . فقال : أنا أشهد لك . فمضى حتى دخل على عبد الصمد ، فقال له : بمَ تَشهد لهذا ؟ قال : إنّى رأيتُه مرةً عَطس عطسةً فسقط ضِرْسُه . فضَحك عبدُ الصَّمد وخلَّى سبيلَه .

---

(١) البنية : الكعبة .

(٢) الحرسى ، نسبة إلى الحرس ، جعل علما على الجمع لهذه الحالة المخصومة ، ولا يستعمل له واحد من لفظه ، ولهذا نسب إلى الجمع .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ابن الريان المكى » وهو أبو حامد محمد بن عبد الرحمن ابن هشام .

هو ومحمد بن إبراهيم

وقيل :

قال محمدُ بن إبراهيم الإمام للدارمىّ : لو صلحت عليك ثيابى لكسوتُك . قال : فَديتُك ! إنْ لم تَصلُح علىّ ثيابُك صَلَحت علىّ دنانيرُك .

مع عبد الصمد ابن على وقد أحضر رجل من الشراة

وقيل :

مَدح الدارمىُّ عبدَ الصَّمد بن علىّ بقصيدة واستأذنه فى الإنشاد، فأَذن له . فلما فَرغ أُدخل إليه رجلٌ من الشُّراة[1] ، فقال لغُلامه : أَعْطِ هذا مائة دينار ، واُضرب عُنقَ هذا . فَوثب الدارمىُّ فقال : بأَبى وأُمِّى ! بِرُّك وعفو بتُك جميعاً نقْد ، فإن رأيتَ أن تبدأ بقتل هذا ، فإذا فَرغ منه أمرتَه فأَعطانى ، فإنى لن أَرِيم من حَضرتك حتى تفعل ذلك . قال : ولِمَ ؟ ويلك ! قال : أَخشى أنْ يغلَط فيما بيننا ، والغلَط فى هذا لا يُستقال . فضَحك وأَجابه إلى ما سأَل .

كلامه وقد أصابته قرحة

وقيل :

أَصابت الدارمىُّ قُرحةٌ فى صدره ، فدَخل إليه بعضُ أصدقائه [يعوده] فرآه قد نَفَث مِن فيه نفْثاً أَخضرَ ، فقال له : أَبْشر فقد اُخضرّت القَرحة وعوفيت . فقال : هيهات ! والله لو نَفثتُ كل زمرُّدة فى الدُّنيا ما أَفلتُّ منها .

شعره الذى فيه الغناء

وشعرُه الذى فيه الغناء واُفتتح أبو الفرج به أخباره ، هو :

أَفِقْ يا دارمىُّ فقد بُليتا ... وإنَّك سوف تُوشك أن تَموتا

أراك تَزِيد غَشْياً[2] كُلَّ يومٍ ... إذا ما قلتَ إنك قد بَرِيتا

(١) الشراة : الخوارج .

(٢) غشى عليه ، بالبناء للمجهول ، غشيا ، بالفتح والضم : نابه ما غشى عقله . وفى بعض أصول الأغانى : « عشقا » .

أخبار هلال بن الأسعر المازنى

نسبه وشىء عنه

هو هِلال بن الأَسعر بن خالد بن الأَرْقم بن قُسَيْم بن ناشِرةَ بن سيّار بن رِزَام بن مازن بن مالك بن عمرو بن تَميم بن أُدّ بن طابخة بن اليأس بن مُضَر ابن نزار بن مَعــدّ بن عَدْنان . شاعر إسلامىّ من شعراء الدولة الأموية — قال أبو الفرج : وأَظنّه قد أدرك الدولةَ العبَّاسيَّة — وكان رجلاً شديداً عظيمَ الخَلْق ، أكولاً معـدوداً من الأَكلة ، فارساً شُجاعاً عظيمَ الغَنـاء فى الحرب . وعُمِّر عُمراً طويلاً ، ومات بعد بَلَايا عظامٍ مرّت على رأسه .

رثاؤه لابن قنبر

وكان رجلٌ من قومه من بنى رِزام ، يقال له : المُغيرة بن قَنْبر ، يَعُوله ويُفْضِل عليه ويحتمل ثِقْله وثِقْل عِياله فهَلك ، فقال هلالٌ يرْثيه :

ألا ليتَ المُغيرةَ كان حيًّا ... وأُفْنَى قبلَه الناسَ الفَنـاء

لِيَبْكِ على المُغـيرة كُلُّ خيلٍ ... إذا أَفنى عَرَائكَها[1] اللِّقـاء

ويَبْكِ على المُغـيرة كُلُّ جَيْشٍ ... تَمُور[2] لدى مَعَـاركه الدِّماء

لقد وارَى جديدُ الأرضِ[3] منه ... خِصالاً عَقْـدُ عصْمتها الوَفاء

فصـبراً للنَّوائب إن أَلمّت ... إذا ما ضاق بالحَدَث الفضاء[4]

هِزَبْرٌ تَنْجلى الغَمْراتُ عنـه ... نَقِيُّ العِرْض هِمَّتُه العَـلاء

إذا شَهِد الكَرِيهةَ خاض منهـا ... بُحوراً لا تـكدِّرها الدِّلاء

---

(١) العرائك : جمع عريكة ، وهى القوة والشدة .

(٢) تمور : تجرى وتسيل .

(٣) جديد الأرض : ظهرها .

(٤) فى الأصل : « النساء » مكان « الفضاء » .

جَسُورٌ لا يُرَوَّع عنـــد رَوْعٍ ولا يَثْنى عزيمَتَـــه اُتَّقـــاء
حَلِيمٌ فى مَشـــاهده إذا ما حُبَا الحُلماء أَطلقها المِرَاء[1]
فإن تكن المَنِيَّة أَقْصـدتْه وحُمَّ عليـه بالتَّلَفِ القضاء[2]
فقـــد أَوْدَى به كرمٌ وخِيرٌ وعَوْدٌ بالفضـائل وابْتـــداء

من قوته

وذُكر أنّ هِلالَ بن الأَسْعر كان فى إبل له ، وذلك عند الظَّهيرة فى يوم شديدِ وَقْع الشَّمس مُحْتَدِم الهاجرة ، وقد عَمدَ إلى عَصاه فطرح عليها كِساءَه ، ثم أَدخل رأسَه تحت كسائه من الشَّمس . فبينا هو كذلك إذ مرَّ به رجلان : أحدهما من بنى نَهْشل والآخر من بنى تَميم[3] ، كانا أشدَّ تميميَّيْن فى ذلك الزمان بطشاً ، وقد أقبلا من البحرين معهما أَنْوَاطٌ[4] من تمر هَجَر . وانتهيا إلى الإبل ولا يَعرفان هِلالاً بوجهه ولا يَعرفان أنَّ الإبل له ، ثم نادَيا : يا راعِى . أعندك شرابٌ تسْقينا ؟ وهما يظُنانه عبداً لبعضهم . فنـاداهما هلالٌ ورأسُه تحت كسائه : عليكما الناقةَ التى صِفَتُها كذا فى موضع كذا فاُنتحياها[5] ، فإنّ عليها وَطْبَين[6] من لَبن ، فاُشربا منهـا ما بدا لـكما . فقال أحدُهما : انهض وَيْحك يا غلام ! فأتِنـا بذلك اللَّبن . فقال : إنْ تكن لـكما حاجة فستأتيانها فتحدُران[7] الوَطْبين فتشربان . فقال أحدُهما : يا بن اللَّخْناء ، إنك لغَليظ الكلام ، قُم فاُسْـقنا . فقال : أراكما والله ستَلْقيان هواناً وصَغاراً . وسَمعا ذلك منه . فدنا أحدُهما فأَهْوى له ضرباً بالسَّوط

(١) الحبا : جمع حبوة : وهى الثوب يحتبى به . وإطلاق الحبا : كناية عن السفه والطيش . والمراء : المخاصمة والمجادلة .
(٢) أقصدته : أصابته . وحم : قضى وقدر .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « فقيم » .
(٤) أنواط : جمع نوط ، وهو الجلة الصغيرة فيها التمر ونحوه .
(٥) انتحياها : اقصداها .
(٦) الوطب : سقاء اللبن .
(٧) تحدران : تدنيان . وفى بعض أصول الأغانى : « فتجدان » .

على عَجُزه . وهو مُضطجع . فتناول هلالٌ يدَه فأجتذبه إليه فرَمى به تحت فَخذه ثم ضَغطه ضغطة . فنادى صاحبَه : ويحك ! أَغِثنى فقد قتلنى . فدنا صاحبُه منه ، فتناوله هلالٌ أيضاً فأجتذبه فرَمى به تحت فخذه الأخرى ، ثم أَخذ برقابهما فجعل يَصُك رأسَيهما بعضاً ببعض ، لا يَستطيعان أن يَمْتنعا منه . فقال أحدُهما : كُن هلالاً ولا نُبالى [ما صنعت] . فقال لهما : أنا والله هلالٌ ، ولا والله لا تُفلتان منّى حتى تُعطيانى عهداً وميثاقاً لا تخيسان[1] به لتأتيانِّ المِرْبد[2]، إذا قدمتما البصرة ، ثم لتُناديانِّ بأعلَى صوتكما بما كان منِّى ومنكما . فعاهداه وأَعطياه نَوْطاً من التمّر الذى معهما ، وقدما البصرةَ فأتيا المِربد فنادَيا بما كان منه ومنهما .

وحدّث كُنَيف بن عبد الله المازنىّ قال :

كنتُ يوماً مع هلال ونحن نبْغى إبلاً لنا ، فدَفعْنا إلى قوم من بكر بن وائل ، وقد لَغِبْنا[3] وعطِشْنا . وإذا نحن بفتْية شبابٍ عند رَكيّة لهم ، وقد وَردت إبلُهم . فلمّا رأوا هلالاً استَهولُوا خَلْقه وقامَته . فقام رجلان منهم إليه ، فقال له أحدُهما : يا عبد الله ، هل لك فى الصِّراع؟ فقال له هلالٌ : أنا إلى غير ذلك أحوجُ . قال : وما هو ؟ قال : إلى لَبن وماء فإنِّى لَغِب ظمآنُ . قال : ما أنت بذائقٍ من ذلك شيئاً حتى تُعطِيَنا عهداً لتُجيبنَّنا إلى الصِّراع إذا أَرحْت[4] وروِيت . فقال لهما هلال: إنِّى لكما ضيفٌ ، والضيفُ لا يُصارع آهِلَه[5]، ورَبَّ منزله ، وأنتم مُكْتفون من ذلك بما أقول لكم : اُعمدوا إلى أشدّ فحْل فى إبلكم شدّةً وهيْبة وصوْلة ، وإلى أشدّ رجل منكم ذراعاً ، فإن لم أقبض على هامة البعير وعلى يَد صاحبكم ،

(١) لا تخيسان : لاتغدران .
(٢) المربد : من أشهر محال البصرة .
(٣) لغبنا : تعبنا وأصابنا الإعياء .
(٤) أرحت : رجعت إليك نفسك بعد الإعياء .
(٥) آهله : أى المرحب به .

فلا يمتنع الرجلُ ولا البعيرُ حتى أُدخلَ يد الرجل فى فم البعير ، فإن لم أفعلْ ذلك فقد صرعتمونى ، و إن فعلتُه عرفتُم أن صِراع أحدكم أيسرُ من ذلك . فعجبوا من مقالته تلك ، وأَومأوا إلى فحل من إبلهم هائجٍ صائلٍ قَطِم [1] . فأتاه هلالٌ ومعه نفرٌ من أولئك القوم وشيخٌ لهم ، فأَخذ بهامةِ الفحل مما فوق مِشْفره فضغطها ضَغطةً جَرْجر [2] الفحل منها واستخذَى ورَغَا . وقال : ليُعْطِنى من أحببتُم يدَه حتى أُولجها فى فَم هذا الفَحل . فقال الشيخ : يا قوم ، تنكَّبوا عن هذا الشيطان ، والله ما سمعتُ أنّ فلاناً [3] — يعنى الفحل — جَرْجر منذ بَزَل [4] قبل اليوم . لا تَعْرضوا لهذا الشَّيطان . وجعلوا يَتْبعونه و ينظرون إلى خطْوه و يعجبون من طُول أعضائه حتى جازهم .

وحكى هلال قال : قدمتُ المدينةَ وعليها رجلٌ من آل مَروان ، فلم أَزل أضعُ عن إبلى وعليها أحمالٌ للتجّار ، حتى أُخِذ بيدى وقيل : أجب الأمير . فقلت لهم : وَيْحكم ! إبلى وأحْمالى ! فقيل : لا بأسَ على إبلك وأحمالها . قال : فأُطلِق بى حتى أُدخلت على الأمير . فسلّمْتُ عليه ثم قلتُ : جُعلتُ فداك ! إبلى وأمانتى ! فقال : نحن ضامنون لإبلك وأمانتك حتى نؤدِّيها إليك . قال : فقلت عند ذلك : فما حاجةُ الأمير إلىّ ؟ جعلنى الله فداه ! فقال لى — و إلى جانبه رجل أصفر —: لا والله ما رأيتُ أشدَّ خلقاً منه ولا أغلظَ عُنقاً ، ما أدرى أطُولُه أكثر أم عرْضه — إنّ هذا العبد الذى ترى لا والله ما ترك بالمدينة عربيًّا يُصارِع إلّا صَرعه ، و بلغنى عنك قُوة ، فأردتُ أن يُجْرِىَ الله صَرْعَ هذا العبدِ على

(١) القطم : الهائج .

(٢) جرجر : ردد صوته فى حنجرته .

(٣) المسموع أن « فلاناً » و « فلانة » بغير أل يكنى بهما عن الآدميين ؛ وأنهما مع « أل » يكنى بهما عن غيرهم .

(٤) بزل : فطرنا به ودخل فى سنته التاسعة .

يَديْك فتُدْرِكَ ما عنده من أوتار العرب . قال : فقلت : جَعلنى الله فداء الأمير ، إنّى لَغِبٌ نصِبٌ جائع ، فإن رأى الأميرُ أنْ يَدعنى اليوم حتى أضع عن إبلى وأُوَدِّى أمانتى وأُرِيحَ يومِى هـذا وأجيئَه غداً فليْفعل . فقال لأعوانه : انطلقوا معه فأَعينوه على الوَضْع عن إبله وأداء أمانته ، وانطلِقوا إلى المطبخ فأَشْبعوه . ففعلوا جميعَ ما أمرهم به . قال : فظَلِلْتُ يومى ذلك و بتُّ ليلتى تلك بأحسن حال شِبعاً وراحة وصـلاحَ أمر . فلمّا كان من الغد غدوتُ عليه وعلىّ جُبَّة لى صوف [و بَتٌّ][1] وليس علىَّ إزار ، إلّا أنّى قد شددتُ بعمامتى وسَطى . فسلّمت عليه . فردَّ علىّ ، وقال للأصفر : قُم إليـه فقد أتاك الله بما يُخزيك . فقال العبدُ : اتَّزِرْ يا أعرابىّ . فأخذتُ بَتّى فاتَّزرتُ به على جُبَّتى . فقال : هيهات ! هذا لا يثبُت ، إذا قبضتُ عليـه جاء فى يدى . قال : فقلت : والله مالى من إزار . فدعا الأمير بمِلْحفه، ما رأيتُ قبلها ولا عَلا جِلْدى مثلُها، فشددتُ بها على حَقْوِى[2]، وخلعت الجُبة . وجَعل العبـدُ يدُور حولى و يُريد خَتْلى ، وأنا منه وجِلٌ لا أدرى كيف أَصنع به ، ثم دنا منى دَنوةً، فنَقد[3] جَبْهتى بظُفُره نقدةً ظننتُ أنه قد شَجَّنى ، فأَوجعنى . فغاظنى ذلك ، فجعلتُ أنظر فى خَلْقه بم أقبض منـه ، فـما وجدتُ فى خلقه شيئاً أصغر من رأسه ، فوضعتُ إبهامىّ فى صُدْغيه وأصابعى الأُخرى فى أصل أُذنيـه ، ثم غَمزته غمزةً صاح منها : قَتلنى ! فقال الأمير : اُغمِس رأسَه فى التُّراب . فقلت له : ذلك لك علىّ . فغمستُ والله رأسه فى التُّراب، ووقع شبيهاً بالمَغشىّ عليـه . فضحك الأميرُ حتى اُستلقى ، وأمر لى بجـائزة وكُسوة ، ثم اُنصرفتُ .

(١) البت : كساء غليظ مهلهل .
(٢) الحقو : الخصر .
(٣) نقد : نقر .

خبره مع الجلانى

وكان هلال بن الأسْعر ضربه رجلٌ من بنى جَلَّان ، يقال له : عُبَيد ابن حَرِىّ ، فى شىء كان بينهما ، فشَجَّه وخَمَشه خُمَاشةً . فأتى هلالٌ بنى جَلَّان فقال : إنَّ صاحبكم قد فعَلَ بى ما تَرَوْن ، فخذُوا لى بحقِّى . فأوعدوه وزَبروه[1] . فخرَج من عندهم وهو يقول : عسى أن يكون لهذا جزاء حتى آتيَ بلادَ قومه . فمضى لذلك زمنٌ طويل حتى درس ذِكْره . ثم إنَّ عُبيد بن حَرِىّ قدِم الوَقَبى — وهو موضع من بلاد مالك — فلمّا قدِمها ذكَر هلالاً وما كان بينه و بينه ، فتخوّفه ، فسأل عن أعزّ أهل الماء ، فقيل له : مُعاذ بن جَعْدة بن ثابت بن زُرارة ابن ربيعة بن سيّار بن رِزام بن مازن . فأتاه فوَجده غائباً عن الماء ، فعقد عُبَيد ابن حرِىّ طرف ثيابه إلى جَنب طُنُبِ بيت مُعاذ — وكانت العربُ إذا فعلت ذلك وَجب على المَعقود بطُنُب بيته للمُستجير به أن يُجيره وأن يطلب بظُلامته — وكان يوم فعل ذلك غائباً عن الماء . فقيل : رجلٌ اُستجار بآل مُعاذِ بن جَعْدة . ثم خَرج عُبيد بن حَرِىّ ليستقىَ ، فوافق قُدومَ هلالٍ بإبله يومَ وُروده . وكان هلال يأكل ما وجد عند أهله ثم يَرِد مع الإبل ، ثم يَرجع إلى أهله بعد أيّام ولا يتزوّد طعاماً ولا شراباً . فلما نَظر هلالٌ إلى ابن حرِىّ ذكر ما كان بينه و بينه . ولم يعلم باُستجارته بمُعاذ بن جَعدة ، فطلب شيئاً يَضربه به فلم يَجد ، فانتزع المِحْورَ من الساقية فعلاه به ضربةً على رأسه ، فصرعه وَقيذاً[2] . وقيل : قَتل هلالُ ابن الأسْعر جارَ مُعاذ بن جَعدة ! فلما سَمِع ذلك هلالٌ تخوّف بنى عمّه الرّزاميِّين ، فأتى راحلَته ليركبها ، فتعلّقت به خولةُ بنت يَزيد بن ثابت ، وقالت : عدوّ الله ! قتلتَ جارَنا ! والله لا تفارقنى حتى يأتيك رجالُنا . قال هلال : والمِحْور فى يدى لم أَضعه ، فهممتُ أن أعْلُو به رأس خَولة ، ثم قلت فى نفسى : عَجوزٌ لها سِنٌّ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وزجروه » وهما بمعنى .
(٢) الوقيذ : الذى أشفى على الموت .

وقرابة . فضربتُها برجلى ضربة رميتُ بها من بعيد ، ثم أتيتُ ناقتى فأركبُها ثم أضربها هارباً . وجاء مُعاذ بن جَعدة وإخوتُه ، وهم يومئذ تسعة ، وعبد الله ابن مالك زَوج بنت مُعاذ ، وذلك فى آخر النهار ، فسمعوا الواعية[1] على الجَلّانِيّ ، وهو دَنِفٌ [لم يمت] . فسألوا عن تلك الواعية ، فأُخبروا بما كان من اُستجارة الجَلّانى بمُعاذ بن جَعْدة ، وضَرْب هلال له بعد ذلك . فركب الإخوة التّسعة وعبد الله بن مالك عاشرُهم ، وكانوا أمثال الجِبال فى شدّة خَلقهم مع نَجدتهم . ورَكبوا معهم بعشرة غِلْمة لهم أشدّ خِلْقة منهم ، لا يقع لأحدٍ منهم سهمُه فى غير موضعه الذى يُريده ، حتى تَبعوا هلالاً . وقد نَسل[2] هلالٌ من الهرب يومَه ذلك كلّه وليلَته ، فلما أصبح أمِنهم وظنّ أن قد أبعد فى الأَرض ونجا منهم . فلما أصبحوا من تلك الليلة قَصُّوا أَثره ، وكان لا يَخفى أثرُه على أحدٍ لِعِظَم قَدَمه . فَلحقوه من بَعد الغد . فلمّا أَدركوه ، وهم عِشْرون ومعهم النَّبْل والقِسىّ والسُّيوف ، ناداهم : يا بنى جَعدة ، أنشدُكم الله ! أن أكونَ قتلتُ رجلاً غَريباً بِترةٍ تقتلوننى وأنا ابنُ عمّكم ! وظَن أنّ الجَلّانى قد مات ، ولم يكن مات إلى أن اتّبعوه وأَخذوه . فقال مُعاذ : والله لو أَيقنّا أنه مات ما ناظرنا بك القتلَ[3] من ساعتنا ، ولكنّا تركناه ولم يَمُت ، ولسنا نحب قتلَك إلا إن تَمتنع منّا ، ولا نُقدِم عليك حتى نَعلم ما يَصنع جارنا . فقاتلهم وامتنع منهم . وجعل مُعاذ يقول لأَصحابه وغِلْمانه : لا تَرْموه بالنَّبل ولا تَضربوه بالسُّيوف ، ولكن اُرمُوه بالحِجارة واُضربوه بالعصىّ حتى تأخذوه . ففعلوا ذلك ، فما قَدروا على أخذه حتى كَسروا من [إحدى] يديه ثلاثَ أَصابع ومن الأُخرى إصْبعين ، ودقُّوا ضِلَعين من أضلاعه ، وأكثروا الشِّجاج فى رأسه ،

(١) الواعية : الصراخ على الميت .
(٢) نسل : أسرع فى سيره .
(٣) ما ناظرنا بك القتل ، أى ما أخرناه .

ثم أخذوه وما كادوا يقدِرون على أخذه ، فوضعوا فى رجله أدْهم[١] ، ثم جاءوا به وهو مَعروض على بعيرٍ حتى انتهَوْا به إلى الوَقَبى ، فدَفعوه إلى الجَلّانى ولم يمُت . فقالوا : أنطلقوا به إلى بلادكم ولا تُحدثوا فى أمره شيئاً حتى تنظُروا ما يُصْنَع بصاحبكم ، فإن مات فأقتلوه ، و إن حَيِىَ فأعلمونا حتى نحملَ إليكم أَرْش[٢] الجناية . فقال الجَلّانيُّون : وَفَتْ ذمّتكم يا بَنى جَعْدة ، وجَزاكم الله أفضلَ ما يَجْزى خِيار الجيران ، إنّا نتخوّف أن يَنْزعه منّا قومُكم إن خَلّيتم عنّا وعنهم وهو فى أيدينا. فقال لهم مُعاذ : فإنى أحمله معكم وأُشيعكم حتى تَردوا بلادَكم . ففعلوا ذلك . فحُمل معروضاً على جَمل ، ورَكبتْ أختُه جَماء بنت الأسعر معه ، وجعل يقول : قتلتْنى بنو جَعدة . وتأتيه أختُه بالمَغْرة[٣] ليشربَها ، فيُقال : يُمْشِى[٤] بالدّم ، لأنّ بنى جَعدة فَرثوا[٥] كَبِدَه فى جَوْفه . فلمّا بَلغوا أدنى بلاد بكر بن وائل ، قال الجَلّانيّون لمُعاذ وأصحابه : أَدام الله عزّكم ، فقد وفيتُم فانصرفوا . وجعل هِلالٌ يُريهم أنه يُمْشى فى اللّيلة عشرين مرّة . فلمّا ثقُل الجَلّانىّ وتخوّف هلالٌ أن يموت من ليلته أو يُصبح ميّتاً ، تبرّز هلالٌ كما كان يصنع وفى رجله الأدهم كأنه يَقضى حاجةً ، ووَضع كساءه على عَصاه فى ليلة مُظلمة ، ثم اعتمد على الأدهم فحطّمه ، ثم طار تحت ليلته على رجليه ، وكان أدلّ الناس ، فتنكّب الطريق التى تُعرف و يُطلب فيها ، وجعل يَسْلُك المَسالك التى لا يُطمع فيها ، حتى انتهى إلى رجل من بنى أُثاثة بن مازن فحَمله على ناقة له ، فركبها ثم تجنّب بها الطريق ، فأخذ نحو بلاد قَيْس بن عَيْلان تخوُّفاً من بنى مازن أن يتبعوه أيضاً فيأخذوه .

(١) الأدهم : القيد .
(٢) الأرش : دية الجراحات .
(٣) المغرة : طين أحمر يصبغ به .
(٤) أمشى الرجل : استطلق بطنه من دواء تناوله .
(٥) فرثوا : فتتوا .

فسار ثلاثَ ليالٍ وأيامها ثم نَزل اليومَ الرَّابع ، فنَحر الناقةَ فأكل لحمَها كلَّه إلّا فَضلةً فَضَلت منها فاُحتملها . ثم أتَى بلادَ اليمن فوقع بها ، فلبث بها زماناً ، وذلك عند مَقدم الحجّاج بن يوسف العِراق ، فبلغ إفلاتُه مَن بالبصرة مِن بَكر ابن وائل، فاُنطلقوا إلى الحجّاج فاستعدَوْه وأخبروه بقَتْله صاحبَهم . فبعث الحجاجُ إلى عبد الله بن شُعبة بن عَلْقمة ، وهو يومئذ عَريف بنى مازن حاضرتِهم وباديتِهم ، فقال له : لتأتينّى بهلال ولأفعلنّ بك ولأفعلنّ . فقال له عبد الله ابن شُعبة : إنّ أصحاب هِلال و بنى عمّه قد صنَعوا كذا وكذا ، فاقتصّ عليه ما صَنَعوا فى طلبه وأخذِه ودفعه إلى الجلّانيّين وتَشييعهم إيّاه حتى وردوا بلادَ بكر بن وائل . فقال له الحجّاج : ويلك ! ما تقول ؟ فقال بعضُ البكريّين : صدق ، أصلح الله الأمير ! فقال الحجّاج : فلا يُرْغِم اللهُ إلا أُنوفَكم ! اُشهدوا أنّى قد آمنتُ كلَّ قريب لهلال وحَميم، ومنعتُ من أخذ أحدٍ به ومِن طَلبه حتى يَظْفَرَ به البكريُّون أو يموت قبل ذلك . وبعث هلالٌ إلى بنى رِزام بن مازن يُعاتبهم ويعظّم عليهم حقَّه ويذكُر قرابته ، وذلك أنّ سائر بنى مازن قاموا ليحملوا ذلك الدَّم . فقال معاذ : لا أرضَى والله أن تَحملوا لجارى دماً واحداً حتى يُحمل له دَمٌ ولجوارى دمٌ آخر ، وإن أراد هلال الأمانَ وَسْطَنا حُمل له دم ثالث . وقال هلال فى ذلك قصيدتَه التى منها :

بَنى مازنٍ لا تطردُونى فإننى ... أخوكم وإن جرَّت جرائرَها يدِى
ولا تَجعلوا حِفْظى بظَهرٍ وتَحفظوا ... بَعيداً ببَغْضاء يَروح ويَغتدى
فإنّ القريبَ حيثُ كان قَريبُكم ... وكيف بقَطْع الكفِّ من سائر اليد
وإنّ البَعيدَ إنْ دنا فهو جارُكم ... وإن شطّ عنكم فهو أبعدُ أبعد
وإنّى وإن أوْجدتُمونى[1] لحافِظٌ ... لكم حِفْظَ راضٍ عنكمُ غير مُوجد

(١) أوجدتمونى : أغضبتمونى .

وأنّهُم[1] لمـا أرادوا هَضِيمتى مُنُوا[2] بجَميع القَلْب عَضْبٍ مُهنَّد
حُسامٍ متى يَعزِمْ على الأَمر يأتِهِ ولم يتوقَّف للعواقب فى غَـد

ولمّا طال مُقامُ هِلال باليمن نَهضتْ بنو مازنٍ بأجمعهم إلى بنى رِزام بن مازن، رَهْط هِلال ورهطِ مُعاذ بن جَعْدة ، فقالوا : إنكم قد أسأتُم بابْن عمّكم وجُرْتُم الحدّ فى الطلب بدم جاركم ، فنحن نَحمل لكم ما أردتُم . فحَمل دَيْسم بن المِنهال ، الذى طَلب مُعاذٌ أن يُحمَل لجاره ، وذلك ثلثمائة بعير . فقال هلالٌ يمدحه :

تدارَكَ دَيسمٌ حسباً ومجداً رِزاماً بعد ما انشقَّتْ عَصَاهَا
همُ حَمَلوا المِئين وأَلْحَقوها بأَهليها وكان لهم سَنَاها

ما يحكى عن أكله

وممّا ذُكر من أكل هِلال أنه قال : جُعتُ مرةً ومعى بعير فنحرتُه وأكلته ، إلا ما حملتُ منه على ظهرى . ثم أردتُ امرأتى فلم أقدر عليها ، فقالت . ويحك ! كيف تَصل إلىّ و بيننا بعير .

وقيل لهلال : كم تكفيك هذه الأَكلة ؟ قال : أربعة أيّام .

وقيل : إنه مرّ على رجل من بنى مازن بالبصرة ، وقد حَمل من بستانه رُطَباً فى زَواريق[3] ، فجلس على زورق صغير منها ، وقد كَثُر الرُّطب فيه وغُطِّى بالبَوارى[4] ، فقال له : يابْن عَم ، آكُل من رُطَبك هذا ؟ قال : نعم . قال : ما يكفينى ؟ قال : ما يكفيك . فجلس على صَدر الزَّورق وجعل يأكُل إلى أن اكتفى ، ثم قام فانصرف . فكُشف الزورقُ فإذا هو مِلْؤه نَوًى ، وقد أكل رُطَبه وألْقى النَّوى فيه .

---

(١) البيت متصل ببيت سابق ، وهو :
وتعلم بكر أنكم حيث كنتم وكنت من الأرض الغريبة مختدى

(٢) منوا : ابتلوا . (٣) زواريق : جمع زورق ، أشبعت كسرته فولدت منها ياء .
(٤) البوارى : الحصر من القصب .

وحكى صَدقة بن عُبيد المازنىّ قال :

أَوْلَمَ علىَّ أبى [١] لما تزوَّجتُ ، فعَمِل عَشْرة جِفَانٍ من ثَريد من جَزور . فكان أولَ من جاءنا هلالُ بن أسْعر المازنىّ ، فقدَّمنا إليه جَفْنةً فأكلها ، ثم أُخرى حتى أتى على العشرة ، ثم اُستسْقى بِقِرْبةٍ من نَبيذ ، فَوضع طرَفها فى شِدْقه ففرّغها فى جَوفه ، ثم قام وخرج . واستأنفنا عَمل الطعام .

خير الشعر الذى فيه الغنـاء

والشعرُ الذى يُغَنَّى فيه لهلال واُفتتَح به أبو الفرج أخبارَه ، هو :

يارَبْعَ سَلْمى لقد هَيَّجْتَ لى طَرَبا ... زِدْتَ الفؤادَ على عِلّاته وَصَبا

ربعٌ تبدّل ممّن كان يسكُنه ... عُفْرَ الظِّباء وظِلْمانًا به [٢] عُصَبا

وذُكر أنّ إبراهيم الموصلىّ غنَّى الرَّشيدَ فى هذا الشعر ، فأُعجب به الرَّشيدُ وطَرِب له واُستعاده مراراً . فقال له إبراهيم : يا أمير المؤمنين ، كيف لو سمعتَه من عبدك مُخارق ! فإنه أخذه عنِّى ، وهو يفضُلُ فيه الخلقَ جميعاً و يفضُلُنى . فأَمر بإحضار مُخارق ، فأُحضر . فقال له غنِّى :

* يا رَبْعَ سَلْمى لقد هَيجتَ لى طَرَبا *

فغنّاه إيّاه. فبكى وقال: سَلْ حاجَتك . قال مُخارق: فقلتُ : تُعْتِقنى يا أمير المؤمنين وتُشرِّفنى بولائك ، أعتقك الله من النَّار . قال : أنت حُرٌّ لوجه الله ! أعد الصوتَ . فأعدتُه . فبكى وقال : سَلْ حاجتك . فقال : يا أمير المؤمنين ، ضَيْعَةٌ تُقيمنى غلّتُها . فقال : قد أمرتُ لك بها . أعد الصوتَ . فأعدتُه ، فبكى وقال : سَلْ حاجتك . قلتُ : يا أمير المؤمنين ، تأمُر لى بمنزلٍ وفُرش وما يُصلحه ، وخادمٍ فيه . قال : ذلك لك ، أعده . فأعدتُه. فبكى وقال : سَل حاجتَك . فقلتُ: حاجتى يا أمير المؤمنين

(١) أولم على أبى : عمل لى وليمة زواجى .

(٢) الظلمان ، بالضم والكسر : جمع ظليم ، وهو ذكر النعام . والعصب : الجماعات ؛ الواحدة : عصبة .

أن يُطيل الله بقاءك ، ويُديمَ عزّك ، ويَجعلَنى من كل سُوء فِداك . فكان مُخارق إذا غنّاه يقول : أنا مولى هذا الصوت .

وذَكر مُخارق قال : أقبل الرَّشيدُ يوماً على المُغنِّين وهو مُضطجع ، وقال : مَن منكم يُغنِّى :

* يا رَبْع سَلْمى لقد هيَّجت لى طَرَباً *

فقلت : أنا . فقال : هاتِه . فغنَّيتُه ، فطَرب وشَرب ، ثم قال : علىَّ بهَرْثمَةَ . فقلتُ فى نفسى : ما تُراه يُريد منه ! فجاءوا بهَرْثمة فأُدخل إليه ، وهو يَجُر سيفَه . فقال : يا هَرْثمة ، مُخارقٌ الشَّارى الذى قَتلناه بناحيـة الموصل ما كُنْيته ؟ فقال : أبو المُهنَّأ . فقال : انصرف . فانصرفَ . ثم أقبـل علىّ فقال : كَنَّيتُك أبا المُهنَّأ لإحسانك . وأمر لى بمائة ألفِ درهمٍ ، فانصرفتُ بها وبالـكُنْية .

أخبار عروة بن الورد

نسبه

وهو عُروة بن الوَرْد بن زيد . وقيل : ابنُ عمرو بن زَيد بن عبد الله بن ناشب ابن هَرِم بن لُدَيم بن عَوْذ بن غالب بن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغيض بن الرَّيث ابن غَطَفان بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار بن معدّ بن عَدنان .

شاعر فارس

شاعرٌ من شُعراء الجاهليَّة ، وفارسٌ من فُرسانها ، وصُعلوك[1] من صَعاليكها المَعدودين المُقدَّمين الأجواد .

لقبه

ويُلقّب : عُروةَ الصَّعاليك ، لجَمْعه إيَّاهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا فى غَزواتهم ، ولم يكن لهم معاشٌ ولا مَغْزًى . وقيل : إنما لُقِّب بذلك لقوله من أبيات :

وللهِ صُعلوكٌ صَفيحةُ وَجْهه ... كضوءِ شهابِ القابسِ المُتنوِّرِ

لعبد الملك فيه

وحُكى أنّ عبدَ الملك بن مَروان قال : ما يَسُرّنى أحدٌ من العرب لم يلدْنى أنّه وَلدَنى إلّا عُروةَ الصَّعاليك بن الوَرد ، لقوله :

إنّى امرؤٌ عافِى إنائِىَ شِرْكةٌ ... وأنت امرؤٌ عافِى إنائك واحدُ

أتهزأ منِّى أن سَمِنتَ وأنْ ترَى ... بجسمىَ مَسَّ الحقِّ والحقُّ جاهِد

أُفرِّق جِسْمى فى جُسومٍ كثيرةٍ ... وأَحْسُو قَراح الماء والماء بارد

بين عمر بن الخطاب والحطيئة فى حديث يتصل به

وقال عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه للحُطيئة : كيف كُنتم فى حَرْبكم ؟ قال : كُنّا ألفَ حازم . قال : وكيف ؟ قال : كان فينا قيسُ بن زُهير وكان حازماً ، وكنّا لا نَعْصيه ، وكُنّا نُقْدِم بإقدام عَنْترة ، ونأتمُّ بشعر عُروة بن الوَرْد ، وننقاد لأمر الرَّبيع بن زِياد .

---

(١) الصعلوك : الفقير . وصعاليك العرب : لصوصها .

لعبد الملك فى جوده

وقال عبدُ الملك : مَن زَعم أنّ حاتماً أسمحُ الناسِ فقد ظَلَم عُروة بن الوَرْد .

نهى ابن جعفر لمعلم ولده عن بيت له

وكان عبدُ الله بن جَعفر يقول لمُعلِّم ولده : لا تُروِّهم قصيدةَ عُروةَ بن الوَرْد التى يقول فيها :

دَعِينى للغِنَى أَسْعى فإنّى رأيتُ الناسَ شرُّهم الفَقِيرُ

ويقول : إنّ هذا يَدْعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم .

خبره مع امرأة سباها

ذُكر أنّ عُروة سَبى امرأةً ووَلدتْ له ، وكانت تُعيَّر بالسِّباء . وقد تقدَّم ذِكْرُ ذلك(١) . وأنّ قومها سَقَوه الخمر ، فلما سَكِر طلبوا منه أن يُفادِىَ بها ، وأغْلوا له فى الفِداء ، فأجاب . فلما صَحا نَدِم . فشُهد عليه بالفداء، فلم يَقدر على الامتناع . وجاءت المرأةُ تُثنى عليه ، فقالت : إنّك والله ما علمتُ لضَحوك مُقبلاً ، كَسُوبٌ مُدْبراً ، تُرْضى الأهل والجانب(٢) . ما أعلم امرأةً من العرب ألقتْ سِتْرها على بَعل خيرٍ منك ، أغَضَّ طَرْفاً ، وأقلَّ فُحشاً ، وأجودَ يداً ، وأَحمَى لحقيقته ، فاستوص ببَنيك خيراً . ثم فارقتْه . فتزوّجها رجلٌ من بنى عمّها . فقال لها يوماً من الأيّام : يا سَلْمى ، أَثْنى علىَّ كما أثنيتِ على عُروة — وقد كان قولُها فيه شُهِر — فقالت له : لا تُكلِّفنى ذلك ، فإنى إن قلتُ الحقَّ غضبتَ ، ولا واللاتِ والعُزَّى لا أكذبُ . فقال : عزمتُ عليكِ لتأْتينِّى فى مجلس قومى فلَتُثنِينَّ علىَّ بما تَعلمين . وخرج فجلس فى نَدِىّ القوم ، وجاءت ، فرماها الناسُ بأبصارهم ، فوقفتْ عليهم وقالت : أَنْعموا صباحاً ، إنّ هذا عَزم علىّ أن أُثنى عليه بما أعلم . ثم أقبلتْ عليه فقالت : والله إنّ شِمْلَتك لأُلْتِحاف ، وإن شُرْبك لاشْتِفاف(٣) ، وإنك لَتنام ليلةَ تُخافُ ، وتَشبع ليلةَ تُضاف ، وما تُرضى الأهلَ ولا الجانبَ . ثم انصرفت . فلامه قومُه وقالوا : ما كان أغناكَ عن هذا القولِ منها !

(١) انظر ص ٣٢٧ من هذا الجزء .
(٢) الجانب : الغريب .
(٣) الاشتفاف : شرب كل ما فى الإناء .

كان يجمع إليه الصعاليك

وقيل : كان عُروة بن الوَرْد إذا أصابتِ الناسَ سنةٌ شديدةٌ تركوا فى دارهم المريضَ والكبيرَ والضَّعيف . وكان عُروة يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته فى الشدّة ثم يَحْفر لهم الأسرابَ وَيكنُف لهم الكُنُفَ[1] ، ويكسُوهم . ومَن قَوِى منهم — إمّا مريضٌ يبرأ من مرضه ، أو ضعيف تَثُوب قُوتُه — خَرج به معه فأغار ، وجَعل لأصحابه الباقين فى ذلك نَصيباً ، حتى إذا أخصب الناسُ وأَلْبنوا وذَهبت السنةُ ، ألحق كُلَّ إنسان بأهله ، وقَسم له نصيبَه من غَنيمةٍ ، إن كانوا غَنموها. فربما أتى الإنسانُ منهم أهلَه وقد أُستغنى ، فلذلك سُمِّى : عُرْوة الصَّعاليك. فقال فى ذلك فى بعض السنين ، وقد ضاقت حالُه :

لعَلَّ أُرتيادى فى البلاد وبُغْيتى ... وشَدِّى حيازيمَ المطيَّةِ بالرَّحْلِ
سيَدْفَعُنى يوماً إلى ربِّ هَجْمة[2] ... يُدافع عنها بالعُقوق وبالبُخْل

وهى طويلة ، ومنها :

أليس ورائى أن أدِبَّ على العَصا ... فيَشْمَتَ أعدائى ويسأَمَنى أَهْلى
رَهينة قَعْر البيت كُلَّ عشية ... يُطيف بىَ الولْدانُ أَهْدجَ[3] كالرَّأْل
أَقيمُوا بَنى لُبْنَى صُدورَ رِكابكم ... فكُلّ مَنايا القومِ خيرٌ من[4] الهَزْل
فإنّكُم لن تبلُغوا كلَّ هِمَّتى ... ولا أَربى حتى تَرَوْا مَنْبِتَ الأَثْل

فقيَض الله له ، وهو مع قوم من هُلّاك[5] عَشيرته فى شتاء شديد ، ناقتين دَهْماوَيْن، فنَحر لهم إحداهما وحَمل متاعَهم وضُعفاءهم على الأُخرى ، وجَعل يَنْتقل

(١) يكنف لهم الكنف : يتخذ لهم حظائر يؤويهم فيها .
(٢) الهجمة من الإبل : من أربعين إلى سبعين ، أو إلى مائة . فإذا بلغت المائة ، فهى هنيدة.
(٣) الرأل : ولد النعام . وهدجانه : أن يمشى فى ارتعاش . شبه الشيخ به فى مشيته .
(٤) الهزل : الضعف ، وهو نقيض السمن .
(٥) الهلاك : الصعاليك .

بهم من مكان إلى مكان . فنزل بموضع يقال له : ماوان[1] . فقيّض الله له رجلاً صاحبَ مائة من الإبل قد فرَّ بها من حُقوق قومه ، وذلك أوّل ما ألبن الناسُ ، فقتله وأخذ إبلَه وامرأته ، وكانت من أحسن الناس . فأتى بالإبل أهلَ الكنيف فحَلَبها لهم وحَملهم عليها ، حتى إذا دنَوْا من عَشيرتهم أقبل يَقْسمها بينهم ، وأخذ مثلَ نصيب أحدهم ، فقالوا : لا واللاتِ والعُزَّى ، لا نرضى حتى تَجعل المرأة نصيباً ، فمن شاء أخذها . فغَضب وجعل يَهُمّ بأن يَحمل عليهم فيقتلَهم ، ويَنتزعَ الإبلَ منهم ، ثم يذكر أنهم صنيعتُه ، وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان يَصنع . فأَفكر طويلاً ثم أجابهم إلى أن يَرُدَّ عليهم الإبل إلّا راحلةً يحملُ عليها المرأةَ حتى يَلْحق بأهله . فأبَوْا ذلك عليه ، حتى انتَدبَ رجلٌ منهم فجعل له راحلةً من نَصيبه .

بين ثمامة والمنصور فى حديثه

وحُكى أن ثمامة بن الوليد دَخل على المنصور فقال : يا ثمامة ، أتحفظ حديثَ ابن عمك عُروة الصَّعاليك بن الوَرْد العبسىّ ؟ فقال : أى حديثه يا أمير المؤمنين ؟ فقد كان كثير الحديث حسنَه . قال : حديثه مع الهذلىّ الذى أخذ فرسه . قال : ما يحضُرنى ذلك فأرويه يا أمير المؤمنين . فقال المنصور : خَرج عُروة حتّى دنا من مَنازل هُذيل ، وكان منها نحواً من ميلين ، وقد جاع ، فإذا هو بأرنب فرماها ، ثم أَوْرى ناراً فشَواها وأكلها ، ودَفن النار على مقدار ثلاثة أذرع ، وقد ذهب الليلُ وغارت النُّجوم . ثم أتى سَرْحةً[2] فصَعدها وتَخوَّف الطَّلب . فلما تغيّب فيها إذا الخيلُ قد جاءت وتخوّفوا البَياتَ[3] . فجَاءت منهم جماعةٌ ومعهم رجل على فَرس ، فجاء حتى رَكز رُمْحه فى موضع النار وقال : لقد رأيتُ النار هاهنا . فنزل رجلٌ فحفر قَدْر ذراع فلم يجد شيئاً . فأكبَّ القومُ على الرَّجل يَعذُلونه ويَعيبون

(١) ماوان : قرية من أرض اليمامة .
(٢) السرحة : من الشجر الكبير العظيم الطويل .
(٣) البيات : الإيقاع بالقوم ليلا دون ان يعلموا .

أمره ويقولون : عَنَّيتنا فى مثل هذه الليلة القَرَّة وزَعمت لنا شيئاً كذبتَ فيه ! فقال : ما كذبتُ ، ولقد رأيتُ النَّار فى موضع رُمْحى . فقالوا : ما رأيت شيئاً ، ولكنَّ تحذْلُقك هو الذى حَملك على هذا ، وما نَعْجب إلّا لأنفسنا حيث أطعنا أمرك واتَّبعناك . ولم يزالوا بالرجل حتى رَجع عن قوله لهم . واتَّبعهم عُروة ، حتى إذا وردوا منازلهم جاء عُروة فكَمن فى كِسْر[1] بيت ، وجاء الرجلُ إلى امرأته وقد خالفه إليها عبدٌ أسود ، وعُروة ينظرُ ، فأتاها العبدُ بعُلْبة فيها لبن ، فقال : تشربين ؟ فقالت : لا ، أوْ تبداً . فبدأ الأسودُ فشَرب . فقالت للرجل حين جاء : لعن الله صَلَفك[2] ! عنَّيت قومَك منذ الليلة . قال : لقد رأيتُ ناراً . ثم دعا بالعُلبة ليشرب ، فقال ، حين ذهب ليكرعَ : ريحُ رجلٍ وربِّ الكعبة ! فقالت المرأة : وهذه أُخرى ، أىَّ رِيحِ رجلٍ تجده فى إنائك غيرَ ريحك ! ثم صاحتْ . فجاء قومُها ، فأخبرتهم بخَبره وقالت : يتّهمنى ويظُنّ بى الظُّنون . فأقبلوا عليه يلُومونه حتى رَجع عن قوله . قال عُروة : هذه ثانية . ثم أوى الرجلُ إلى فراشه ، فوَثب عُروة إلى الفرس وهو يُريد أن يَذهب به ، فضرب الفرسُ بيده ونَخر . فرجع عُروة إلى موضعه . ووَثب الرجلُ ، فقال : ما كنت لتكذَبنى[3] ، فمالك ؟ فأقبلت امرأتُه عليه لوماً وعَذلا . قال : فصَنع عروةُ ذلك ثلاثاً . ثم أوى إلى فراشه وضجر من كثرة ما يقُوم ، فقال : لا أقوم إليكَ الليلة . فأتاه عروةُ فحال[4] فى مَتْنه وخَرج ركضاً . وركب الرجل فرساً غيرَه أُنثى . قال عروةُ : فجعلتُ أسمعه خَلفى يقول : الحِقى فإنك من نَسله . فلما انقطع عن البُيوت، قال له عروة بن الورد : أيها الرجل ، قِف ، إنك لو عرفتَنى لم تُقْدم علىّ ، أنا عروةُ ابن الورد ، وقد رأيتُ الليلةَ منك عجباً ، فأخبرنى به وأَرُدَّ عليك فرسك . قال :

(١) كسر البيت : جانبه .
(٢) الصلف : مجاوزة الرجل قدرا الظرف وادعاؤه العجب والتكبر .
(٣) يريد الفرس . (٤) حال فى متنه : وثب وركب .

وما هو ؟ قال : جئتَ مع قومك حتى ركزت رُمحك فى مَوضع نار كنتُ أوقدتُها ، فتَثْنوك عن ذلك ، وقد صدقتَ ، ثم اتّبعتُك حتى دخلتَ منزلك و بينك و بين النار ميلان فأبصرتَها منهما . ثم شممتَ رائحةَ رجل فى إنائك ، وقد رأيتُ الرجلَ حين آثرتْه زوجتُك بالإناء ، وهو عبدك الأسودُ ، وأظنّ أن بينهما مالا تُحب . فقلتَ : ريح رجل ! فلم تزل تَثْنيك عن ذلك حتى أُنثنيت . ثم خرجتُ إلى فرسك فأردتُه ، فاضطرب وتحرّك ، فخرجتَ إليه ، ثم خرجتَ وخرجتَ ، ثم أضربتَ عنه . فرأيتُك فى هذه الخِصال أكملَ الناس ولكنّك تَنْثنى وترجع . فضحك وقال : ذاك لأَخْوال السَّوء ، والذى رأيتَ من[1] كَعاعَتى فمن قِبل أخوالى ، وهم بَطن من خُزاعة . والمرأةُ التى رأيتَ عندى امرأةٌ منهم ، وأنا نازل فيهم ، فذلك الذى يَثنينى عن أشياء كثيرة ، وأنا لاحقٌ بقومى وخارجٌ عن أخوالى هؤلاء ، ومُخَلٍّ سبيلَ هذه المرأة . ولولا ما رأيت من كعاعتى لم يَقْوَ على مناوأة قومى أحدٌ من العرب .

فقال عروة : خُذ فرسَك راشداً . فقال : ما كنتُ لآخذَه منك وعندى من نَسله جماعةٌ مثله . فخُذْه مُبارَكاً لك فيه .

قال ثمامة : إنّ له عندنا أحاديثَ كثيرة ما سمعنا له بحديثٍ هو أظرف من هذا . فقال المنصور : أفلا أُحدِّثك له بحديث هو أظرفُ من هذا ؟ قال : بلَى يا أمير المؤمنين ، فإنّ الحديث إذا جاء منك كان له فضلٌ على غيره . قال :

خرج عُروة وأصحابُه حتى أتى مَاوانَ ، فنزل أصحابهُ وكَنَف عليهم كَنيفاً من الشَّجر ، وهم أصحاب الكَنيف الذى سمعتَه قال فيهم :

أَلَا إنّ أصحاب الكَنيف وجدتُهم كما الناسُ لمّا أمرعوا وتَموّلُوا

(١) الكعاعة : الجبن والضعف .

وفى هذه الغزاة يقول :

أقُول لأَصْحاب الكَنِيف تروَّحوا عَشيّةَ بِتْنا حَول ماوانَ[1] رُزَّح

وفى هذه القصيدة يقول :

لَيَبْلُغَ عُذراً أو يُصيبَ غَنيمةً ومُبْلِغُ نفسٍ عُذْرَها مِثْلُ مُنْجِح

ثم مَضى يَبْتغى لهم شيئاً وقد جُهِدوا ، فإذا هو بأبياتِ شَعَرٍ وامرأة قد خَلا من سنِّها ، وشيخٍ كبير كالحِقاء[2] المُلْقَى. فكَمن فى كِسْر بيتٍ منها . وقد أَجدب الناسُ ، فإذا هو فى البيت بسُحُورِ ثلاثةٍ مَشْوِيّة — فقال مُمامة : وما السُّحور ؟ قال : الحُلقوم بما فيه — والبيتُ خالٍ . فأكلها ، وقد مكث قبل ذلك يومَيْن لا يأكل شيئاً ، فأشبعتْه وقَوِى ، وقال : لا أُبالى مَن لَقِيتُ بعد هذا . ونظرتِ المرأةُ فظنّت أنّ الكلب أكلها ، فقالت للكلب : أفعلتَها يا خبيثُ ! وطردتْه . فإنه لكذلك وإذا هو عند المساء بإبلٍ قد ملأتِ الأرضَ ، وإذا هى تَلْتفت فَرَقاً . فعلم أنّ راعيَها شديدُ الضَّرب لها . فلما أتت المُناخَ بركتْ . ومكث الرَّاعى قليلاً ثم أتى ناقةً منها ، فمَرَى[3] أخلافَها ، ثم وضع العُلْبة على رُكْبتيه وحَلب حتى مَلأها ، ثم أتى الشيخَ فسقاه ، ثم أتى ناقةً أُخرى ففعل بها ذلك . ثم أتى أخرى ففعل بها كذلك ، فشرب هو ، ثم التفع بثوب واضطجع ناحيةً ، فقال الشيخُ للمرأة وأعجبه ذلك : كيف ترَيْن ابنى ؟ فقالت : ليس بابنك . قال : فابنُ مَنْ وَيْلك ؟ قالت : ابنُ عُروة بن الوَرْد . قال : ومن أين ؟ قالت : أتذكرين يومَ مَرَّ بنا ونحن نُريد سُوق ذى المَجاز ، فقلتَ : هذا عُروة ابن الوَرْد ، ووصفتَه لى بجَلَد ، فإنّى استطرفتُه[4] . قال : فسكَت . حتى إذا نَوّم

(١) رزح : جمع رازح ، وهو الهالك هزالا .
(٢) الحقاء : الإزار .
(٣) مرى أخلافها : مسح ضرعها لتدر .
(٤) استطرفته : عددته طريفاً .

وثَب عروةُ وصاح بالإبل فاُقتطع منها نحواً من النِّصف ومضى ، ورجا ألّا يَتْبعه الغُلام — وهو غلام حين بدا شاربه — فاتّبعه فلَحِقه . فعالجه فضَرب به الأرضَ فوقع قائماً . فتخوّفه على نفسه . ثم واثبه فضَرب به الأرضَ فبادره ، فقال : أنا عُروة بن الوَرد ، وهو يريد أن يُعْجِزه عن نَفسه . قال : فاُرتدع ثم قال : مالك ويلك ! لستُ أشُكّ أنّك قد سمعتَ ما كان من أُمى . قال : قلت : نعم . فاُذهب معى أنت وأُمك وهذه الإبل ودَع هذا الشَّيخ ، فإنه لا يَنهاك[1] عن شىء . فقال : الذى بَقِى من عُمر هذا الشيخ قليلٌ ، وأنا مُقيم معه ما بقى ، فإنّ له حقًّا وذِماماً ، فإذا هَلك فما أَسرعنى إليك ، وخُذ من هذه الإبل عيراً . قلت : لا يَكفينى ، إنّ معى أَصحابى قد خلَّفتُهم . قال : فاثنان . قلت : لا . قال : فثلاثة ، والله لا زِدْتُك على ذلك . فأخَذها ومضى إلى أصحابه . ثم إن الغلام لَحِق به بعد هَلاك الشيخ .

فقال ثُمامة : والله يا أمير المؤمنين ، لقد زيَّنته عندنا وعظَّمته فى قُلوبنا . قال : فهل أعقب عندكم ؟ قال : لا ، ولقد كُنا نَتشاءم بأبيه ، لأنّه هو الذى أوقع الحرب بين عَبْس وفَزارة بمُراهنته حُذيفة ، ولقد بلغنى أنه كان له ابنٌ أسنُّ من عُروة يُؤثره على عُروة فيما يُعطيه ويُقرِّبه . فقيل له : أتُؤثر الأكبرَ مع غَنائه عنك على الأصغر مع ضَعْفه ! فقال : أترَوْن هذا الأصغر ، لئن بقى مع ما أرى من شدّة نَفسه ليصيرنّ الأكبرُ عيالاً عليه .

الشعر الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغِناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارَ عُروة ، هو :

وخِلٍّ كنتُ عينَ الرُّشد منه ... إذا نظرتْ ومُستمعاً سَمِيعَا
أطاف بَغَيِّه فعدلتُ عنه ... وقلت له أرى أمراً فَظِيعا

(١) أى لا غناء فيه ، فلا ينهاك عن تطلب غيره .

نسبه وشىء عنه

وهو حُرثان بن عمرو بن بن الحارث بن مُحرِّث بن ثَعلبة بن سيّار بن رَبيعة ابن هُبيرة بن ثَعلبة بن ظَرِب بن عمرو بن عبّاد بن يَشْكر بن عَدْوان بن عمرو ابن سَعد بن قَيس بن عَيلان بن مُضَر بن نِزار بن مَعدّ بن عَدنان . أحد بنى عَدْوان ، وهم بطن من جَديلة . شاعر فارس من قُدماء الشعراء فى الجاهلية، وله غارات كثيرة فى العرب ووقائع مَشهورة .

شعره فى فناء عدوان

وكانت عَدْوان كثيرة العَدد ، فرُئى أنهم نَزلوا على ماء فأَحصوا فيهم سَبعين ألف غلام أغرل[1] ، سوى من كان مختوناً لكثرة عَددهم ، ثم وقع بأسُهم بينهم فتفانَوْا ، فقال ذو الإصبع :

عَذير الحىِّ من عَدْوا ... نَ كانُوا حَيةَ[2] الأَرْضِ
بَغى بعضُهم بَعضاً ... فلم يُبْقُوا على بَعض
فقد صاووا أحاديثَ ... بِرَفْع القول واخَفْض
فمنهم كانتِ السّادا ... تُ والمُوفُونَ بالقَرْض
ومنهم مَن يُجيز النّا ... سَ بالسُّنةِ والفَرْض
ومنهم حَكَمٌ يَقْضى ... ولا يُنْقَض ما يَقْضى

شىء عن عامر ابن الظرب

والحكم الذى عَناه أبو الإصبع فى شعره هو عامر بن الظَّرِب العَدْوانى ، وهو الذى كانت العَصا تُقْرع له . وكان قد كَبِر ، فقال له الثانى من ولده : إنك ربما أخطأتَ فى الحُكم فيُحمل عنك . قال : فاجعلوا لى أَمارة أعرفها، فإذا زغتُ فسمعتُها رجعتُ إلى الحُكْم والصّواب . فكان يجلس قُدّام بيته ويقعد ابنُه فى البيت ومعه العصا ، فإذا زاغ أو هَفا قَرع له الجَفْنة، فرجع إلى الصواب . وفى ذلك يقول المتلمِّسُ :

(١) الأغرل : الذى لم يختن . (٢) يقول : هات عذراً فيما فعل بعضهم ببعض من التباعد والتباغض والقتل ، بعد ما كانوا حية الأرض التى يحذرها كل أحد .

لِذِي الحِلْمِ قبل اليوم ماتُقْرع العصا وما عُلِّمَ الإنسانُ إلّا لِيَعْلَمَا

وربيعةُ تدّعيه لعبد الله بن عمرو بن الحَارث بن هَمّام . واليمنُ تدّعيه لربيعةَ ابن مُخاشن ، وهو ذو الأعواد ، وهو أول مَن جَلس على مِنبر أو سرير وتكلّم . وفيه يقول الأسود بن يَعْفُر :

ولقد علمتُ لَوَ انّ علمِيَ نافِعِي أنّ السَّبيلَ سبيلُ ذى الأَعوادِ

سؤال عبد الملك عنه

وذُكر أنّ عبد الملك بن مَروان لمّا قَدِم الكوفَة بعد قَتْله مُصعَبَ بنَ الزُّبير جَلس يَعْترض أحياء العَرب ، فقام إليه مَعبدُ بن خالد الجَدَلىّ ، وكان قصيراً دَميماً . قال معبد : فتقدّم إليه رجلٌ منّا حَسَنُ الهيئة . فنَظر عبدُ الملك إلى الرّجل فقال : من أنت ؟ فسكَت ولم يقُل شيئاً . فقلتُ مِن خلفه : نحن يا أمير المؤمنين من جَديلة . فأَقبل على الرجل وتَركنى ، وقال : من أيّكم ذو الإصبع ؟ فقال الرجل : لا أدرى . فقلت : كان عَدوانيًّا . فأقبل على الرجل وتركنى وقال : لِمَ سُمِّى ذا الإصبع ؟ قال الرجل : لا أدرى . فقلت : نهشتْه حيةٌ فى إصبعه فَيبست . فأَقبل على الرجل وتركنى ، وقال : وبِمَ كان يُسمَّى قبل ذلك ؟ قال الرجل : لا أدرى . قلت : كان يُسمَّى حُرْثان . فمال إلى الرجل وتركنى ، وقال : مِن أىّ عَدْوان كان ؟ قلت مِن خَلفه : من بنى ناجٍ الذى يقول فيهم الشاعر :

وأمّا بنو ناجٍ فلا تَذْكُرنَّهم ولا تُتْبِعَنْ عينيكَ ما كان هالكَا

إذا قلتُ معروفاً لأُصْلِحَ بينهم يقول وُهَيبٌ لا أُسالِمُ ذلكا

فأَقبل على الرجل وتَركنى ، وقال : أنشدنى قولَه :

عَذِيرَ الحىّ مِن عَدْوا ن كانُوا حَيَّةَ الأَرْضِ

فقال الرجلُ : لست أَرويها . قلت : يا أمير المؤمنين ، إن شئتَ أنشدتُك . فقال : أَدْن منّى ، فإنّى أراك بقومك عالماً . فأنشدتُه :

وليس المرء فى شىء من الإبْرام والنَّقْضِ
إذا أبرم أمـراً خا له يَقضِى وما يَقْضى

وذكر بعد هذه الأبيات :

و مِمَّن وَلدُوا عام ـرُ ذو الطُّول وذو العَرْض
وهم بَوَّوْا[1] ثَقِيفاً دا رَ لا ذُلٍّ ولا خَفْض

فأَقْبل على الرّجل وتَرَكنى ، وقال : كم عطاؤُك ؟ قال : ألفان . فأقبل علىّ ، فقال : كم عطاؤك ؟ فقلتُ : خمسمائة . فأقبل على كاتبه وقال : اُجعل الألفين لهذا خمسمائة ، والخمسمائة لهذا . فاُنصرفتُ بها .

وقوله « ومنهم من يُجيز الناس » فإنّ إجازة الحجّ كانت لخزاعةَ ، فأخذتْها منهم عَدوان ، فصارت إلى رجل منهم يقال له : أبو سيّارة ، وله يقول الراجز :

خلُّوا السَّبيل عن أبى سَيّارهْ وعَن مواليـه بنى فَزارهْ
حتى يُجيز سـالماً حِمـارهْ مُسْتَقبِل الـكَعْبةيَدْعو جارهْ

وكان أبو سيّارة يُجيز الناسَ فى الحج بأن يتقدَّمهم على حِمارٍ ، ثم يَخْطُبهم فيقول : اللهم أَصْلح بين نسائنا ، وعادِ بين رِعائنا ، واُجْعل المـال فى سُمَحائنا . أوفُوا بعَهْدكم ، وأكرِمُوا جارَكم ، واقْرُوا ضَيفكم . ثم يقول : أشْرِقْ ثَبير ، كيما نُغير[2] . فكانت هذه إجازتَه .

هو وبناته الأربع

وذُكر أنّه كان لذى الإصْبع أَرْبعُ بناتٍ ، وكُنّ يُخْطَبنَ ، فَيعْرِض ذلك عليهنّ فيَسْتحيين ، ولايُزوِّجهنّ . وكانت أُمهنّ تقول : لو زوّجتَهنّ !فلا يَفعل .

(١) بووا : أنزلوا ، الأصل فيه الهمز ثم خفف .

(٢) ثبير : جبل مكة . وأشرق ، أى ادخل فى الشروق . ونغير : نسرع . ومعنى المثل : ادخل ياثبير فى الشروق حتى نسرع للنحر . وكان المشركون يقولون ذلك ولا يفيضون حتى تطلع الشمس ، فخالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . والمثل يضرب فى الإسراع والعجلة .

فخرجن ليلةً إلى متحدَّث لهنّ . فاستمع إليهنّ ، وهنّ لا يَعْلمن . فقُلْن : تعالَيْن نتمنَّى ، ولنَصْدُقْ . فقالت الكُبرى :

ألا ليْتَ زَوجى مِن أُناسٍ ذوِى غِنًى ... حديثُ الشَّباب طيِّب الرّيح والعِطْرِ
طبيبٌ بأدواء النســـاء كأنّه ... خليفةُ جانٍ لا يَنامُ عَلَى[1] هُجْرِ

فقُلن لها : أنتِ تُحبِّين رجلاً ليس من قومك . فقالت الثانية :

ألَا هـل أراها مرّةً وضَجِيعُها ... أَشَمُّ كنَصْل السَّيْفِ غيرُ مُبلَّدِ
لَصُوقٌ بأكباد النِّساءِ وأصلُه ... إذا ما انتمى من سِرِّ أهلى ومَحْتِدِى

فقُلن لها : أنت تُحبِّين رجلاً من قومك . فقالت الثالثة :

ألَا ليتَه يَملَأ الجِفانَ لضَيْفه ... له جَفْنةٌ يَشْقى بها النِّيبُ[2] والجُزْرُ
له حَكَماتُ الدَّهْرِ[3] من غير كَبْرةٍ ... تَشِين ولا الفانِى ولا الضَّرِع[4] الغمر

فقلن لها : أنت تُحبِّين رجلاً شَريفاً .

وقُلن للصُّغْرى : تمنَّى . فقالت : ما أُريد شيئاً . قُلن : والله لا تَبْرحين حتى نَعلمَ ما فى نفسك . فقالت : زَوْجٌ مِنْ عُودٍ خَيْرٌ مِن القُعُودِ .

فلمَّا سَمع ذلك أبوهُنَّ ، زوّجهنَّ أربعتَهن ، فكُنّ عنده . فقال للكُبرى : يا بُنَيَّة ، ما مالُكم ؟ قالت : الإبل . قال : فكيف تجدُونها ؟ قالت : خير مال ، نأكل لُحومها مُزَعا[5] ، ونَشرب ألبانَها جُرَعا ، وتَحملنا وضعيفَنا معا . قال :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وتر » مكان « هجر » .

(٢) النيب : جمع ناب ، وهى الناقة المسنة . والجزر ، بضمتين وسكن للشعر : جمع جزور ، وهى الناقة المجزورة .

(٣) الحكمات : جمع حكمة ، وهى حديدة اللجام يكبح بها الفرس . والمراد بحكمات الدهر : تجاربه التى ترد الإنسان عن فعل ما يشين . والذى فى الأصل : « به محكمات الشيب » . وما أثبتنا من الكامل للمبرد . (٤) الضرع : الضعيف . والغمر ، مثلث الغين : غير المجرب .

(٥) مزعا : قطعاً : الواحدة : مزعة .

فكيف تجدين زوجَك ؟ قالت : خيرُ زوج ، يُكرم الحَليلة ، ويُعطى الوسيلة . قال : مالٌ عَميم ، وزوجٌ كريم .

ثم قال للثانية : يا بُنية ، ما مالُكم ؟ قالت : البَقر . قال : فكيف تَجدونها ؟ قالت : خير مال ، تألَف الفِناء ، وتُوَدِّك السِّقاء[1] ، وتَملأ الإناء ، ونِساء مع نساء . قال : فكيف تجدين زوجَك ؟ قالت : خير زَوج ، يُكرم أهله ، ويَنْسى فضلَه . قال : حَظِيتِ وبَظِيت[2] .

ثم قال للثالثة : ما مالُكم ؟ قالت : المِعْزَى . قال : فكيف تَجدونها ؟ قالت : لا بأسَ بها ، نُولدها فُطُماً[3] ، ونَسلخها أَدَما . قال : فكيف تَجدين زَوجك ؟ قالت : لا بأس به ، ليس بالبَخيل الحَكِر[4] ولا بالسَّمْح البَذِر . قال : جَدْوَى[5] مُعْنِية .

ثم قال للرابعة : ما مالُكم ؟ قالت الضَّأْن . قال : فكيف تَجدونها ؟ قالت : شرّ مال : جُوفٌ[6] لا يَشْبَعن ، وهِيمٌ[7] لا يَنقَعن ، وصُمٌّ[8] لا يَسمعن ، وأَمْرَ مُغْوِيتهنّ يَتْبعن[9] . قال : فكيف تَجدين زوجَك ؟ قالت : شرّ زوج ، يُكرم نفسَه ، ويُهين عِرْسه . قال : أَشبه أَمْراً بَعْضُ بَزِّه .

---

(١) أى تجعل فيه الودك ، ، وهو الدسم .

(٢) الكلمة للإتباع ، وليس فى كلام العرب « بظى » .

(٣) فطم : جمع فطيم ، وهو ما يفصل عن الرضاع .

(٤) الحكر : المستبد بالشىء . والذى فى الأصل : « الخثر » وهو المقيم فى الحى لايخرج مع القوم للميرة .

(٥) الجدوى : الغناء . وفى الكامل : « جذو » . وجذو : جمع جذوة ، وهى الخشبة ما كانت فيها نار .

(٦) جوف : عظام الأجواف . (٧) هيم : عطاش . ولا ينقعن : لا يروين .

(٨) تشبه الضأن بالصم لبلادتها .

(٩) فى الكامل للمبرد : « قال على بن عبد الله : قلت لأبى عائشة : ما قولها : « وأمر مغويتهن يتبعن » ؟ فقال : أما تراهن يمررن فتسقط الواحدة منهن فى ماء أو وحل وما أشبه ذلك فيتبعنها إليه » .

شعره وقد خرف

وحُكى ، أنه عُمِّر ذو الإصبع عُمْراً طويلاً ، حتى خَرِف وأُهْتر[١] ، فكان يُفرِّق ماله . فعذَله أصهارُه ولامُوه ، وأخذوا على يديه . فقال قصيدتَه التى منها :

أَهْلَكَنا الليـــلُ والنهار معاً ... والدَّهر يَعْدو مُصمِّماً[٢] جَذَعَا
فليس فيما أَصـــابنى عَجَبٌ ... إن كنتُ شَيباً أنكرتُ أو صَلَعَا
وكنت إذ رَوْنق الشـباب به ... ماءُ شَـبابى تَخـــاله شَرعا
والحىُّ فيـــه الفتـاةُ تَرْمُقنى ... حتّى مضَى شَأْوُ ذاك فانْقَشعا

ومنها :

آبَى فلا أقرَبُ الخِبـــاءَ إذا ... ما رَبُّه بعـــد هَـدْأَةٍ هَجَعا
ولا أروم الفتـــاةَ زَوْرَتَهـا ... إنْ نام عنها الخَليل[٣] أو شَسعا

وصيته لابنه فى احتضاره

ولمّا احتُضر دعا ابنه أُسيداً[٤] ، فقال : يا بُنى ، إنّ أباك قد فَنِى وهو حَيّ ، وعاش حتى سَئِم العَيش ، وإنّى مُوصيك بما إنْ حفظتَه بلغتَ فى قومك ما بلغتُه : أَلِنْ جانبَك لقومك يُحبّوك ، وتواضعْ لهم يَرفعوك ، وابسُط لهم وجهَك يُطيعوك ، ولا تَستأثر عليهم بشىء يُسَوِّدوك ، وأكرم صِغارهم كما تُكرم كِبارَهم ، يُكْرِمْك كبارُهم ، ويَكْبَرْ على مودّتك صغارُهم ، واسمح بمالك ، واحْمِ حريمَك ، وأعِزَّ جارَك ، وأعِنْ من استعان بك ، وأكرم ضيفَك ، وأسرع النَّهضة فى الصريخ ، فإنّ لك أجلاً لا يَعْدُوك ، وصُنْ وجهَك عن مَسألة أحـدٍ شيئاً ، فبذلك يتمّ سُؤْدَدُك .

---

(١) أهتر : فسد عقله من الكبر وصار خرفا .
(٢) الجذع : الشاب الحدث .
(٣) شسع : بعد .
(٤) سموا : « أسيدا » ، كزبير ، و « أسيدا » ، كأمير .

ثم أنشأ يقول :

أأَسيدُ إنْ مالاً ملكْـ ... ـتَ[1] فسِرْ به سَيْراً جَمِيلَا
وأُشرَبْ بكأْسهمُ وإن ... شَربوا به السُّمّ[2] الثَّميلا
أهِنِ اللِّئامَ ولا تكنْ ... لإخائهم جَمَلاً ذَلُولا
ودَع الذى يَعِد العَشِيـ ... ـرةَ أن يَسيلَ ولن يَسيلا
أأسيدُ إنْ أزمعتَ مِن ... بلدٍ إلى بلدٍ رَحيلا
فاحفظْ وإن شَحط المَزا ... رُ أخا أخيك أو[3] النَّزيلا
وأركبْ بنَفْسك إن هَمَمْـ ... ـتَ بها الحُزونةَ والسُّهولا
وصِلِ الكِرامَ وكُنْ لِمَنْ ... ترجو مودَّته وَصولا
ودَعِ التَّوانىَ فى الأُمو ... ر وكُن لها سَلِسًا ذَلُولا
وأبسُط يَمينَك بالنَّدَى ... وامدُدْ لها باعاً طَويلا
وأعزِمْ إذا حاولتَ أمْـ ... ـرًا يَفْرِجُ الهمَّ الدَّخيلا
وابذُل لضَيْفك ذات رَحْـ ... ـلِكَ مُكْرِماً حتى يَزُولا
واحلُلْ على الأَيْفاع لا ... عافينَ واجْتنِب المَسيلا
وإذا القُروم تَخاطرتْ ... يوماً وأَرْعدت[4] الخَصيلا
فاهصِرْ كهَصْر اللَّيْث خضَّـ ... ـب من فَريسته[5] التَّليلا
وانزِل إلى الهَيْجا إذا ... أبطالُها كَرِهوا النُّزولا
وإذا دُعِيتَ إلى المُهِمِّ فكُنْ لقَادِحِه حَمُولا

(١) فى الأصل : « إما تنعمن » مكان « إن ما لا ملكت » .
(٢) الثميل : أى الناقع . لم ترد فى كتب اللغة .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الزميلا » مكان « النزيلا » .
(٤) الخصيل : جمع خصيلة ، وهى كل لحمة فيها عصب .
(٥) التليل : العنق .

تمثل معاوية بشعر له

وذُكر أنّه جَرى بين عبد الله بن الزُّبير وعُتبة بن أبى سُفيان لحاء[1] بين يدَى معاوية بن أبى سفيان ، فجعل ابنُ الزُّبير يَعْدِلُ عن عُتبة ويُعرِّض بمعاوية ، حتى أطال وأكثر من ذلك . فالتفتت إليه مُعاوية متمثِّلاً وقال :

ورَامٍ بعَوْراء الكَلام كأنّها ... نوافرُ صُبْحٍ نفَّرتها المَراتِعُ
وقديَدْحَض[2] المرءُ المُوارِبُ بالخَنا ... وقدتُدرِكُ المرءَ الكريمَ المُصانِع

ثم قال لابن الزُّبير : من يقول هذا ؟ قال : ذو الإصبع . قال : أتَرويه ؟ قال : لا . قال : فمَن هاهنا يَروى هذه الأبيات ؟ فقام رجل من قَيس فقال : أنا أرويها يا أمير المؤمنين . قال : أَنشِدْنى. فأنشده حتى أتى على قوله :

وساعٍ برجليه لآخَر قاعدٍ ... ومُعْطٍ كريمٌ ذو يسارٍ[3] ومانِعُ
وبانٍ لأحساب الكِرام وهادمٌ ... وخافضُ مولاه سَفَاهًا ورافع
ومُغْضٍ على بعض الخُطوب وقدبدَت ... له عَوْرةٌ من ذى القَرابة ضاجع
وطالب حُوبٍ باللِّسان وقَلْبُه ... سِوَى الحقِّ[4] لاتخْفَى عليه الشرائع

فقال له معاوية : كم عطاؤك ؟ قال : سَبعمائة . قال : أجعلوها ألفاً . وقطع الكلام بين عبد الله وعُتبة .

سبب الفرقة بين عدوان

وكان سَبب تفرُّق عَدوان ، وقِتال بَعضهم بعضاً حتى تفانَوْا ، أن بنى ناج ابن يَشْكر بن عَدْوان أغاروا على بنى عَوْف بن سعد بن ظَرب بن عمرو بن عبّاد ابن يَشْكر بن عَدْوان ، ونَذِرت[5] بهم بنو عَوف ، فاقتتلوا . فقَتل بنو ناجٍ ثمانيةَ نفرٍ من بنى عَوف ، منهم عُمَر بن مالك ، سيِّد بنى عوف . وقتل بنو عَوْف من بنى ناجٍ رجلًا منهم ، يقال له : سِنان[6] بن جابر . ثم اصطلحوا على دياتٍ

(١) اللحاء : المنازعة . (٢) يدحض : يزل . (٣) فى الأصل : « مقال » مكان « يسار » . (٤) سوى الحق : خيره ووسطه . (٥) نذرت : علمت .
(٦) فى الأصل هنا : « يسار » . وفيما سيأتى بعد قليل : « ياسر » .

يتعاطَوْنها ، ورضُوا بذلك . وأبى مَرِيرُ بن جابر أن يَقبلَ لأخيه سنان بن جابر ديةً ، واُعتزل هو و بنو أبيه ومَن أطاعهم ومالأَهم[1] . فمشى إليهم ذو الإصبع وسألهم قَبول الدِّية وقال : قد قُتل منّا ثمانيةُ نَفر فقبِلْنا الدية ، وقُتل منكم رجلٌ واحد فأقبلوا ديتَه . فأَبَوْا ذلك وأقاموا على الحرب . فكان ذلك مبدأَ حرب بعضِهم بعضاً حتى تفانَوا وتقطَّعوا . فقال ذو الإصبع فى ذلك :

فيابُؤْس للأيّام والدهرِ هالكَا ... وصَرْفِ اللَّيالى يَخْتلفن كذلكَا
أبعدَ بنى ناجٍ وسَعْيِكَ فيهمُ ... ولاتُتْبِعَنْ عينَيْك من كان هالكَا
إذا قلتُ معروفاً لأُصْلِحَ بينهم ... يقولُ مَرِيرٌ لا أُحاول[2] ذَلِكا
فأَضْحَوا كظَهْرِ العَوْدِ جُبَّ سَنامُه ... تَحُوم عليه الطيرُ أحدبَ بارِكا
فإنْ تكُ عَدْوانُ بن عمرو[3] تفرَّقت ... فقد غَنِيتْ دهراً مُلوكاً هُنالكا

شعره فى مرير وفيه الغناء

وفى مَرِير بن جابر يقول ذو الإصْبع قصيدتَه التى منها الشعرُ الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبارَ ذى الإصبع ، وهو :

أزْرى بنا أنّنا شالتْ نَعامتُنا ... فخالنى دُونه بل خِلْتُه دونِى

ومنها :

فإنْ تُصِبْك من الأيام جائحةٌ ... لم أبْك منك على دُنْيا ولا دِينِ
لاهِ[4] ابنُ عَمِّك لا أفضلتَ فى حَسَبٍ ... شيئاً ولا أنتَ[5] ديَّانى[6] فتَخزونى
ولا تَقُوت عِيالى يوم مَسْغبةٍ ... ولا بنفسك فى العَزَّاء[7] تَكْفينى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « والاهم » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « لاتحاول » .
(٣) فى الأصل : « عوف » تحريف .
(٤) لاه ، أصله : لله ، حذفت منه اللام الخافضة .
(٥) الديان : القائم بالأمر .
(٦) تخزونى : تقهرنى . (٧) العزاء : الشدة .

إنّ الذى يَقْبِض الدُّنيا ويَبْسُطها ... إن كان أغناك عنّى سَوف يُغْنينى
الله يَعْلَمُ والله يَعْلَمكم ... والله يَجْزِيكمُ عنّى ويَجْزينى
ماذا علىّ وإن كنتم ذَوى رَحِمى ... ألّا أُحبَّكم إذ لم تُحبِّونى
لو تَشربون دَمى لم يَرْوَ شاربُكم ... ولا دِماؤُكمُ جَمعاً تُرَوِّينى
ولِى ابنُ عمٍّ لو أنّ الناسَ فى كَبِدى ... لَظَلَّ مُحتجزاً (١) بالنَّبْل يَرْمِينى
يا عمرُو إنْ لا تَدَعْ شَتْمى ومَنْقَصتى ... أَضْرِبْكَ حتى تقول الهامةُ اسْقُونى
كل امرئٍ صائرٌ يوماً لشِيمته ... وإن تَخلَّق أخلاقاً إلى حين
إنّى لَعَمْرك ما بابِى بذى غَلَقٍ ... على الصَّديق ولا خَيْرى بمَمْنُون
ولا لسانِى على الأدنى بمُنْطلق ... بالمُنْكرات ولا فَتْكى بمَأْمون
لا يُخرج القَسْرُ منِّى غيرَ مَغْضبةٍ ... ولا أَلِينُ لمنْ لا يَبْتغى لِينى
وأنتمُ مَعشرٌ زَيْدٌ على مائةٍ ... فأَجْمعوا أمْركم شتّى فكِيدُونى
وإن علمتُم سبيلَ الرُّشد فانطلِقُوا ... وإن غَبِيتُم طريقَ الرُّشد فأْتُونى
ماذا علىّ إذا تَدْعُونَنى (٢) ضَرَعاً ... ألّا أُجِيبَكم إذ لم تُجِيبونى
قد كنتُ أُعطيكم مالِى وأَمْنحكم ... وُدِّى على مُثْبَتٍ فى الصَّدْرِ مَكْنون
ياصاحِ (٣) لو كنتَ لى ألْفَيتَنى (٤) يَسَراً ... سَمْحاً كريماً أُجازى مَنْ يُجازينى

قصيدته فى رثاء قومه

ورثَى أبو الإصبع العدوانى قومه بالقصيدة الضادية التى تقدّم ذكرُها (٥)، ومنها :

جديدُ العَيش مَلْبوسٌ ... وقد يُوشك أن (٦) يُنْضَى
فأَمْرَ اليوم أَصلحه ... ولا تَعْرِض لما يَمضى
فبينا المرء فى عَيش ... له من عِيشةٍ خَفْض

(١) المحتجز : الذى يشد مئزره على وسطه . وهو كناية عن التهيؤ للأمر والتشمر له .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فزعا » مكان « ضرعا » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « يا همرو » . (٤) اليسر : السهل الانقياد .
(٥) انظر (ص ٣٥٣) من هذا الجزء . (٦) فى البيت إقواء.

أَتاه طَبَقٌ[1] يومـــاً على مَزْلقـــة دَحْض
وليس المـرء فى شىء من الإبرام والنَّقض

ومنها :

وهم كانوا فـلا تُكْذَبْ ذوى القُـــوَّة والنَّهض
وهم مَن ولد[2] أَشْبَوْا بسِرِّ الحسب المَحْض
فمن ساجَلهم حَـرْباً ففى الخَيْبـــة والخَفْض
وهم نالُوا على الشَّـــنآ نِ والشَّحْناء والبُغْض
مَعـالِى لم يَنَلْهَا النا سُ فى بَسْطٍ ولا قَبْض

لأمامة بنته ترثى قومهـا

وقالت أُمامة بنت ذى الإصبع ، وكانت شاعرةً ، ترثى قومها :

قد لَقِيتْ فَهْمٌ وعَدْوانُها قَتْلاً وهُلْكا آخرَ الغابرِ
كانوا ملوكاً سادةً فى الذُّرى دهراً لها الفَخْر على الفاخر
حتى تساقَوْا كأسَهم بينهم بَغْيا فيا لِلشَّارب الخاسر
بادوا فمن يَحْلُل بأوطانهم يَحْلُل برَسْم مُقْفِرٍ داثر

(١) الطبق : الشدة . (٢) أشبى فلان : ولد له كيس .

أخبار غريض اليهودى

نسبه

(*)هو غَريض بن السَّموءل بن غَريض بن عاديا اليهودىّ .

شعر له يغنى فيه

ذكر له أبو الفَرج شِعراً يُغنَّى فيه ، وهو :

أُرفعْ ضَعِيفَك لا يَحُرْبك ضَعْفُه ... يوماً فتُدْرِكَه العواقبُ قد نَمَا

يَجْزيكَ أو يُثْنِي عليكَ وإنّمَن ... أَثْنَى عليك بما فعلتَ كمن جَزَى

وقيل : هذا الشعرُ لأُبنه سَعْية . وقيل : إنه لزَيد بن عمرو بن نُفَيل . وقيل : إنه لوَرَقة بن نَوفل . وقيل: لزُهير بن جَنَاب .

لعائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى شعر لغريض

ثم رَوى أبوالفَرج بإسناده عن عائشة رضى الله عنهـا قالت : دَخل علىّ رسولُ الله صلّى الله عليـه وسلّم وأنا أتمثّل بهذين البيتَيْن — تَعْنى البيتَيْن اللّذين لغَرِيض — فقال النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم : رُدِّى علىَّ قولَ اليهودىّ ، قاتلَهُ الله ! لقد أتانى جبريلُ برسالةٍ من ربِّى : أيُّما رجل صنَع إلى أخيـه صَنيعةً فلم يَجد له جَزاءً إلّا الثَّناء عليه والدعاء له ، فقد كافأه .

دخول اليهود الحجـاز

ثم ذكر أبو الفَرج سببَ دُخول اليهود إلى الحِجاز ومُقامهم بها إلى أن بُعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسـلّم ، فقال : إنّ موسى بن عِمْران عليه السلام وجَّه جيشاً إلى العَماليق ، وكانوا قد طغَوْا و بلغت غارتُهم إلى الشأم ، وأمرهم إن ظَفِروا بهم أن يَقتلوهم أجمعين . فظفِروا بهم فقتلوهم أجمعين ، سوى أُبنِ لملِكهم كان غُلاماً جميلا ، فرَحموه واستَبْقوه . وقَدِموا الشأم بعد وفاة مُوسى عليه السلام ،

(*) ساق أبو الفرج قبل أخبار الغريض هذا بعض كلمات عن قيل مولى العبلات ، لاتبلغ مبلغ التراجم وليست على سياقتها ، ويظهر أن ابن واصل اطرحها لهذا .

وأخبروا بنى إسرائيل بما فعلوا . فقالوا : أنتم عُصاةُ الله ، لا تدخلون الشأم علينا أبداً ! وأخرجوهم عنها . فقال بعضُهم لبعض : ما من بلد غير الذى ظَفِرْنا به وقتلنا أهلَه ! فرجَعوا إلى يَثْرب فأقاموا بها . وذلك قبل وُرود الأَوس والخزرج إيّاها عند وُقوع السَّيل العَرِم[1] باليمن . وهؤلاء اليهود هم بنو قُريظة والنَّضِير و بنو قَيْنقاع وغيرهم . وقُريظة والنَّضِير من ولد هارون عليه السلام ، وستأتى لهم أخبار وذِكْر فى هذه الكتاب .

تعقيب للمؤلف

قلت : هذا ما ذَكره أبو الفَرج . وقال الأكثرون : إنّ هؤلاء إنما وقعوا بالحجاز بعد أن أجْلاهم بُخْتنصّر عن بيت المَقْدس ، وكانت عندهم صِفَة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم و بَعْثه ، وأنه يُبْعث بمكة ويُهاجر إلى يَثْرب . فأقاموا حول يثرب يتوكّفون[2] ظهوره ليكونُوا أولَ مُؤمنٍ به . فلما بَعثه الله تعالى وهاجر إلى المَدينة ، حَسدوه و بَغَوْا له الغوائل . فنصَره الله تَعالى عليهم ، فأجلَى بنى النَّضير و بنى قَيْنُقاع ، وأوْقع ببنى قُرَيظة ، فقَتل مُقاتلهم وسَبى ذَرَاريهم ونِساءهم .

(١) كذا فى الأصل . وفى بعض أصول الأغانى : « سيل العرم » . وعلى هذه الرواية ، فالعرم : اسم واد . وعلى رواية الأصل ، فالعرم : السيل الذى لا يطاق . وقيل : الشديد .

(٢) يتوكفون : يتوقعون .

أخبار ورقة بن نوفل

نسبه وشيء عنه

هو ورقة بن نَوفل بن أَسد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ بن كِلَاب . وأُمه هِنْد بنت أبي كَبير[1] بن قُصيّ بن كِلاب . وهو أحدُ المُعتزلين لعبادة الأوثان فى الجاهليّة . وكان قرأ الكُتب وامتنع من أكل الذَّبائح للأوثان .

للنبي صلى الله عليه وسلم فيه

وقد رَوى عُروة بن الزُّبير أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم سُئل عن وَرقة ابن نَوفل ، فقال : « لقد رأيتُه فى المَنام كأنّ عليه ثِياباً بِيضاً ، فقد أظُن أن لو كان فى النّار لم أرَ عليه البياضَ » .

وروت عائشةُ رضى الله عنها أن خديجةَ بنت خُويلد رضى الله عنها انطلقتْ بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم حتى أتت ورقةَ بن نوفل ، وهو ابن عَمّها ، وكان تَنصّر فى الجاهليّة ، وكتب الكتابَ[2] العِبرانىّ ، [فيكتب بالعبرانية] من الإنجيل ما يشاء أن يكتب . وكان شيخاً كبيراً قد عَمِى . فقالت له خديجة : يا ابن عمِّى ، اسمع ما يقولُ ابنُ أخيك . فقال ورقة : يا ابن أخى ، ماذا ترَى ؟ فأخبره رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم خَبر ما رأى . فقال ورقة : هذا الناموس الذى أنزله الله تعالى على مُوسى ، يا ليتنى فيها جَذَع[3] ! يا ليتنى أكون حيًّا إذ يُخرجك قومُك ! فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أوَ مُخْرجىّ هم ؟ قال : نعم ، لم يأتِ رجلٌ قطُّ بما جئت به إلّا عُودى ، وإن يُدركنى يومُك أنصرْك نصراً مُؤزَّراً . ثم لم ينْشَب ورقةُ أن مات .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « كثير » .

(٢) الكتاب : الكتابة ، مصدر .

(٣) الجذع : الشاب الحدث . أى ياليتنى أكون حدثاً حين تظهر نبوتك فأبالغ فى نصرتك .

فى تعذيب بلال وشعر له

وقيل : إن بلالاً رضى الله عنه كان لجارية من بنى جُمح ، وكان المُشركون يُعذِّبونه لمّا أسلم برَمْضاء[١] مكة ، يُلْصِقون ظَهْرَه بالرَّمضاء ليُشْرِك بالله ، فيقول : أَحدٌ ! أَحدٌ ! فيمرّ عليه ورقةُ بن نوفل فيقول: أحدٌ ! أحدٌ والله يا بلالُ ! والله لئن قتلتموه لأتخذنّه حَنَاناً[٢]. كأنه يقول : لأتمسحنّ به . وقال ورقةُ بن نوفل :

لقد نَصحتُ لأقوام وقلتُ لهم ... أنا النَّذيرُ ولا يَغْرُرْكُم أحدُ
لا تَعْبُدنّ إلهاً غيرَ خالقكم ... فإنْ دَعَوْكم فقُولوا بيننا[٣] حَدَد
سُبحانَ ذى العَرْش سُبحاناً[٤] نَعود له ... وقبلُ قد سبَّح الجُودىّ[٥] والجُمُد
مُسخَّرٌ كلُّ ما تحت السماء له ... لا ينبغى أن يُناوِى مُلْكَه أَحد
لا شىءَ ممّا تَرى تبقى بَشاشتُه ... يبقَى الإلهُ ويُودِى المالُ والوَلَد
لم تُغْنِ عن هُرْمُزٍ يوماً خزائنُه ... والخُلْدَ قد حاولتْ عادٌ فما خَلَدوا
ولا سُليمانَ إذ دانَ الشُّعُوبُ له ... والجِنُّ والإنْس تَجْرى بينها[٦] البُرُد

ورُوى أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال لأخى وَرقة بن نَوفل ، أولأبن أخيه : « شَعرتُ أنّى رأيتُ لوَرقةَ جنّةً أو جنّتين » . شك الراوى ، وهو هِشام ابن عُروة بن الزُّبير .

---

(١) الرمضاء : الأرض الحامية من شدة حر الشمس.

(٢) الحديث ضعيف ، فإن ورقة مات قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم . ولم يعذب بلال إلا بعد أن أسلم .

(٣) حدد : منع .

(٤) نعود له ، نعاوده مرة بعدأخرى. وفى بعض أصول الأغانى : « نعوذ به » .

(٥) الجودى : جبل بالجزيرة ، استوت عليه سفينة نوح . والجمد : جبل بنجد .

(٦) البرد : جمع بريد ، وهو الرسول .

أخبار زيد بن عمرو

نسبه

هو زَيد بن عمرو بن نُفيل بن عبد العُزَّى بن رياح بن عبد الله بن قُرط بن رَزَاح بن عَدىّ بن كَعْب بن لُؤىّ بن غالب . وأُمه جَيداء بنت خالد بن جابر بن أبى حَبيب بن فَهْم . وكانت جَيْداء هذه عند نُفيل بن عبد العُزَّى ، فولدت له الخطّابَ ، أبا عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه . ثم مات عنها نُفيل فتزوّجت ابنَه عَمْراً ، فولدت له زيدَ بن عمرو . وكان هذا نِكَاحاً يَنْكِحه أهلُ الجاهليّة . فكان الخطّاب عمَّ زيد وأخاه لأُمه .

شىء عنه

وكان زَيد أحدَ من اعتزل عبادةَ الأوثان ، وامتنع من أكل ذبائحهم ، وكان يقول : يا معشرَ قُريش ، أيُرسل الله قَطْر السماء ، ويُنْبت بقلَ الأرض ، ويخلُق السائمة فترعى فيه وتَذبحونها[1] لغيره ! والله ما أعلم أحداً على ظَهر الأرض على دين إبراهيم غيرى .

إخراج أخيه له من مكة

وكان أخوه الخطّاب قد أخرجه من مكة هو وجماعةٌ من قُريش ومَنعوه أن يدخُلها حين فارق عبادةَ الأوثان ، وكان أشدّهم عليه الخطابُ . وكان زيد إذا خلصَ إلى البيت اُستقبله ثم قال : لبّيك حقًّا حقًّا ، تعبُّدًا ورِقّا ، البِرَّ أرجو لا الخال[2] ، وهل مُهجِّرٌ[3] كمن قال . ثم يقول :

عُذْتُ بما عاذ به إبراهِمُ ... مُسْتقبلَ الكعبةِ وهو قائمُ

يقول أنفِى لك عانٍ راغِم ... مهما تُجَشِّمنى فإنى جاشِم

ثم يسجد .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وتذبحوها » .

(٢) البر : الطاعة . والخال : الخيلاء .

(٣) المهجر : السائر فى الهاجرة .

شعره فى ترك الأوثان

وقال زيد بن عَمرو بن نُفيل :

عزلتُ الجِنَّ والجِنَّان عنِّى ... كذلك يفعل الجَلْد الصَّبُورُ
ولا العُزَّى أَدِينُ ولا ابْنَتَيْها ... ولا صَنَمَىْ (١) بنى غَنْمٍ (٢) أُدير
أربًّا واحداً أم ألفَ ربٍّ ... أدينُ إذا تقُسِّمتِ الأُمور
ألم تعلَمْ بأنّ الله أفْنَى ... رجالاً كان شأنَهمُ الفُجور
وأَبْقى آخرين ببرِّ قومٍ ... فبَرّ منهمُ الطِّفْل الصَّغير

لورقة يخاطب زيداً

وقال ورقةُ بن نوفل يخاطب زيدَ بن عمرو بن نُفيل :

رَشَدْتَ وأَنعمت ابْنَ عمرٍو وإنما ... تَجَنَّبْتَ تنُّوراً من النار حامِيَا
بدِينك ربًّا ليس ربٌّ كمثله ... وتَرْكك جِنَّانَ الجبال (٣) كما هيا
أقول إذا ما زُرْتُ أرضاً مَخوفةً ... حنانَيْك لا تُظْهِر علىَّ الأَعاديا
أَدِينُ لربٍّ يَستجيب ولا أُرَى ... أَدِينُ لمن لم يسمع الدَّهرَ داعيا
أقول إذا صلَّيتُ فى كُل بِيعةٍ ... تباركتَ قد أكثرتَ باسمِك (٤) داعيا

اعتناقه دين إبراهيم

ورُوى أنّ زيد بن عَمرو خَرج إلى الشأم يسأل عن الدِّين ، فلقى عالماً من اليهود ، فسأله عن دينهم وقال : لعلّى أدين بدينكم . فقال اليهودى : إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنَصيبك من غَضب الله . فقال زيد : ما أفرّ إلّا من غَضب الله ، ولا أحمل من غَضب الله شيئاً أبداً وأنا أستطيع ، فهل تدلُّنى على دينٍ ليس فيه هذا ؟ قال : ما أعلمه ، إلا أن يكون حَنِيفاً . قال : وما الحَنِيف ؟ قال : دينُ إبراهيم . فَخرج من عنده وتَركه وأتى عالماً من عُلماء النَّصارى ، فقال له نحواً

(١) فى الأصل : « بنى طسم » مكان « بنى غنم » . وما أثبتنا من الأصنام لابن الكلبى .
(٢) فى الأصنام : « أزور » مكان « أدير » .
(٣) جنان الجبال : الذين يأمرون بالفساد من شياطين الإنس والجن .
(٤) أى خلقت خلقاً كثيراً يدعون باسمك .

ممّا قاله لليهودى . فقال له النصرانى : إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذَ بنصيبك من لعنة الله. فقال : لا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً وأنا أستطيع، فهل تدلُّنى على دين ليس فيه هذا ؟ فقال له نحواً مما قاله اليهودى : لا أعلمه إلّا أن يكون حنيفاً . فخرج من عندهما وقد رَضى بما أخبراه واتفقا عليه من دين إبراهيم عليه السلام . فلما بَرز رفع يَديْه وقال : اللهم إنّى على دين إبراهيم .

إقباله ليسلم ومقتله

وقيل : إنّه بلغه ظُهور النبىّ صلّى الله عليه وسلم بمكة ، فأقبل يُريده ، فقتله أهلُ مَيْفَعة[1] .

النبى صلى الله عليه وسلم فيه

وروى ابنُه سَعيد بن زيد رضى الله عنه ، وهو أحدُ العشرة المبشَّرين بالجنّة ، قال :

سألت أنا وعمرُ بن الخطّاب رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم عن زَيد ، فقال : يأتى يومَ القيامة أُمةً وحدَه .

عمرو وورقة

وإنما أَجرى أبو الفرج ذكر زَيد بن عمر ، وورقة بن نوفل ؛ لأنّ الشعر الذى فيه « أُرفع ضَعيفك[2] » البيتين . قد رُوى لكلّ واحد منهما . ورُوى أيضاً عن زُهير بن جَناب . وعامر الجَرْمى مَدْرَج الرِّيح ، فذكرهما أيضاً .

شىء عن زهير ابن جناب

فأما زُهير بن جَناب الكَلْبىّ فقال : إنه أحد المُعمَّرين . عاش مائةً وخَمسين سنة . فقال ذات يوم : إن الحىّ ظاعِن . فقال له ابن أخيه عبدُ الله بن عُلَيم ابن جَناب : إنّ الحىَّ مُقيم . فقال زُهير : إنّ الحىّ مُقيم . فقال عبدُ الله : إن الحىّ ظاعن . فقال زُهير : مَن هذا الذى يُخالفنى منذُ اليوم ؟ قيل . ابنُ أخيك عبد الله بن عُلَيم . فقال : أَوَ ما ها هنا أحدٌ يَنهاه عن ذلك ! قالوا : لا . فغَضِب

(١) ميفعة : قرية من أرض البلقاء من الشام .

(٢) انظر الشعر فى أخبار « غريض » (ص ٢٨٧) من هذا الجزء .

وقال : لا أُرانى قد خولفتُ ! ثم دَعا بالخمر فشَربها صِرفاً بغير مِزاج وعلى غير طعام حتى قَتلتْه . وهو الذى يقول :

الموتُ خيرٌ للفتى فَلْيهلكَنْ و به بَقيّهْ
أبَنىّ إنْ أَهلِك فقد أَورثتُكم مجداً بَنِيّهْ
وتركتُكم أبناء سا داتِ زِنادُكُم وَرِيَّهْ
من كُلِّ ما نال الفتى قد نِلتُهُ[1] إلا التَّحيّه

شىء عن مدرج الريح

وأما عامر الجَرْمى مَدْرج الرّيح، فإنما سُمِّى « مدْرَج الرِّيح » بشعر قاله فى اُمرأة كان يزعُم أنه يهواها من الجِنّ ، وأنها تسكُن الهواء وتتراءى له ، وكان محمَّقاً ، وشعرهُ هذا :

لأُبنةِ الجِنّىّ فى الجوّ طَلَلْ دارسُ الآياتِ عافٍ كالخَلَلْ
دَرَسَتْه الرِّيحُ من بين صَبَاً وجَنُوبٍ دَرَجَتْ حِيناً[2] وطَلّْ

(١) التحية : الملك ، والبقاء . والمراد هنا الثانى ، لأن زهير بن جناب كان ملكاً .

(٢) وزاد أبو الفرج بعد هذين « سمية بن غريض » فساق عنه قليلا . ثم ترجم لابن صاحب الوضوء المغنى ترجمة صغيرة . ولكن ابن واصل أغفل هذا وذاك .

أخبار بشّار بن برد

نسبه

أُلحق أبو الفرج نَسبه بيسْتاسب بن لهراسف ، ملك الفُرس ، وذَكر أنّ جدّه يَرْجوخ من طُخَارُستان[1] من سَبْي المُهلَّب بن أبي صُفرة ، وأن زَوجة المُهلّب وهبتْ ابنه بُرْداً بعد أن زوّجته لأمرأة من بني عُقَيل ، فولدت له امرأتُه ، وهو في مِلْكها ، بشّاراً ، فأعتقته العُقَيلية .

وقيل : بل كان بُرْد مولًى لأمرأة سَدُوسيَّة ، فادّعى أنه مولى بني عُقَيل ، لنُزُوله فيهم .

كنيته ولقبه ومنزلته بين الشعراء

ويُكنى بشّار أبا مُعاذ . وهو مُقدَّم طبقة الشعراء المُحدثين ورئيسهم ، بلا خلاف . وهو مُخضرم الدَّولتين : الأموية والعباسيَّة . وكان يُلَقَّب المُرعَّث . فقيل : إنما سُمِّي بذلك لقوله :

قال رِيمٌ مُرَعَّثٌ سامرُ الطَّرف والنَّظَرْ
لستَ والله نائلي قلتُ أو يَغلِبُ القَدَر
أنتَ إن رُمْتَ وصلنا فانْجُ هل تُدْرِكُ القمر

وقيل : إنما سُمي بذلك لأنه كان لقَميصه جَيْبان : جَيب عن يَمينه ، وجَيب عن يساره ، فإذا أراد لُبْسَه ضَمَّه عليه من غير أن يُدخِل رأسه فيه ، وإن أراد نَزْعه حَلَّ أزراره وخرج منه ، فشُبِّهت تلك الجُيوب بالرِّعاث ، لأسترسالها وتَدلِّيها . وسُمِّي من أجلها المُرَعَّث .

وقيل : كان في أُذنه ، وهو صَغير ، رِعاث ، وهي القِرَطة .

---

(١) ضبطها ابن خلكان بضم الطاء ، وضبطها ياقوت بفتحها .

وصفه وشعر الباهلى فى هجائه

وكان ضخماً عظيم الخَلق والوَجه ، مَجدوراً ، طويلًا ، جاحظ الحَدقتين قد تَغشَّاها لحم أحمر ، وكان أقبح الناس عَمًى وأفظعهم مَنْظراً ، وكان إذا أراد أن يُنْشِد صَفَّق بيديه وتَنحنح و بَصق عن يَمينه وشماله فيأتى بالعَجب . وولد وهو أعمى ، وهو الأكمه . وفى ذلك يقول أبو هِشام الباهلىّ يَهجوه :

وعَبْدى فقَا[1] عَيْنَيك فى الرِّحْم أَيْرُه ... فجئتَ ولم تَعلم لعينيك فَاقِيا

أأُمُّك يا بشّار كانت عفيفةً ... علىّ إذَنْ أَمْشى[2] إلى البيت حافيا

ولم يَزل بشّار منذُ قال فيه هذين البيتين مُنكسراً .

بدء قوله الشعر

وذُكر أنه قال بشّار الشِّعر وله عَشر سنين ، ثم بلغ الحُلُم وهو مَخْشِيٌّ مَعَرَّة اللِّسان .

هجاؤه جريرا

وكان يقول : هجوتُ جريراً فأعرض عنّى واستَصْغرنى ، ولو أجابنى لكنت أشعرَ الناس .

رأى الأصمعى فيه

وكان الأصمعىّ يقول : بشّار خاتمةُ الشُّعراء ، والله لولا أن أيّامه تأخرتْ لفضَّلتُه على كثير منهم .

رأيه فى عيون شعره

وقال بشّار : لى اثنا عشَر ألفَ بيتٍ عَيْنٍ . فقيل له : هذا مالم يَدَّعه أحدٌ قطُّ سواك ! فقال : لى اثنتا عشرةَ ألفَ قصيدةٍ ، لعنها الله ولعن قائلَها إن لم يكن فى كل واحدة منها بيتٌ عَيْن .

دينه

وقيل : كان بشّار يَدين بالرَّجْعة[3] ، ويكفِّر جميعَ الأُمم[4] ، ويصوِّب رأىَ إبليس فى تَقديمه النارَ على الطِّين ، وذكر ذلك فى شعره فقال :

(١) يريد « فقأ » بالهمز ، فسهل .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « مشيى » .

(٣) الرجعة : الإيمان بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت . وهو مذهب قوم من عرب الجاهلية . وعليه طائفة من أهل البدع من المسلمين ، يقولون : إن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حيا .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « الأمة » .

الأرضُ مُظلمــة والنــارُ مُشرقة والنــارُ مَعْبودةٌ مُذ كانت النارُ

قلت : وقد رُوى له أيضاً :

إبليسُ أفضلُ من أبيكم آدم فتَنَبّهوا يا مَعشرَ الأشرارِ

النــارُ عُنْصره وآدمُ طِينُــه والطِّينُ لا يَسْمُو سُمُوَّ النــار

كذب ، لعنه الله إن كان قالها .

لواصل بن عطاء فيــه

و بلغ إلحادُه وكفرُه أبا حُذيفة واصلَ بن عطاء . شيخَ المُعتزلة ـ وكان ألثغ بالراء ، فكان يتجنّبها ولا ينطق بها — فقام خطيباً وقال : أما آن لهذا الاعمى المُلحد المُشنِّف المَكْنِيّ بأبى مُعاذ مَن يقتله ؟ أمَا والله لولا أن الغِيلة سجيّة من سَجــايا الغَالية لدسَسْت إليه من يَبعج بطنَه فى جوف منزِله أو فى [1] حَفْله، ثم كان لا يتولَّى ذلك إلّا عُقيليّ أو سَدُوسيّ !

شىء عن واصل ابن عطــاء

فقال « أبا مُعَاذ » ولم يقل «بشارا» . وقال «الأعمى» ولم يقل « الضرير » . وقال « الملحد » ولم يقل « الــكافر » . وقال « المشنف » ولم يقل « المرعث » . وقال « الغالية » ولم يقل « الرافضة » . وقال « يبعج » ولم يقل « يبقر » . وقال « منزله » ولم يقل « داره » .

وحَــذْف الراء من كلامه كلّه غاية الاقتدار على الكلام ، والتمكّن من العبارة . وفى ذلك يقول بعضُ الشعراء فى مَدْح الصاحب بن عَبّاد :

نَعم تَجنَّب لا يومَ العَطاءِ كما تجنَّبَ ابنُ عَطاءٍ لَثْغة الراءِ

هو أحد أصحاب الكلام الستة

وقيل : كان بالبصرة ستّة من أصحاب الكلام : عمرو بن عُبيد ، وواصل ابن عطاء ، وصالح بن عبد القُدُّوس ، وعبد الــكريم بن أبى العَوْجاء ، وجرير ابن حازم ، و بشّار بنُ بُرد ، فكانوا يَجتمعون فى منزل جرير و يَختصمون عنده . فأمّا عمرو وواصل فصارا إلى القول بالاعتزال ، وأما عبدالــكريم وصالح فقالا بمقالة

(١) الحفل : الجمع من الناس . « والعبارة فى بعض أصول الأغانى : « أو فى يوم حفلة » .

الثَّنَوِيّة . وأمّا جابر فقال بمقالة السُّمَنِيّة[1] . وأما بشّار فبقى متحيِّراً مخلِّطاً . وكان عبد الكريم يُفْسد الأَحداثَ . فقال له عمرو بن عُبيد : قد بلغنى أنك لا تَزال تَخلو بالحدَث من أحداثنا فتُفْسده وتُدْخله فى دينك ، فإن خَرجتَ من مصرنا وإلّا قُمتُ فيك مَقاما آتِى فيه على نفسك . فلَحِق بالكُوفة . فدُلَّ عليه محمدُ ابن سليمان فقَتله وصلَبه .

رأى ابن العلاء فيه

وذكر أنه لقى أبو عمرو بن العلاء بعضَ الرُّواة ، فقال له : يا أبا عمرو ، مَن أبدعُ الناس بيتاً ؟ قال : الذى يقول :

لم يَطُلْ ليلى ولكن لم أَنَمْ ... ونَفَى عنِّى الكَرَى طيفٌ أَلَمْ
رَوِّحى عنِّى قليلاً واُعلمى ... أنَّنى يا عَبْدَ من لحم ودَمّ
وإذا قلتُ لها جُودى لنا ... خرجتْ بالصَّمت عن لا ونَعم
إنّ فى بُرْدَىَّ جسماً ناحلاً ... لو توكّأتِ عليه لانْهدم
خَتَم الحُبُّ لها فى عُنقى ... موضع الخاتَم من أهل الذِّمَم

قال : فمن أمدحُ الناس ؟ قال : الذى يقول :

لَمستُ بكفِّى كفَّه أبْتغى الغِنى ... ولم أدْرِ أنّ الجود من كَفِّه يُعْدِى
فلا أنَا منه ما أَفاد ذَوُو الغِنَى ... أفدتُ وأَعدانِى فبدَّدتُ[2] ماعِندى

— وذُكر أنّ هذا الشِّعر لابن الخيّاط فى المهدىّ . وسنذكره[3] —

قال : فمن أهجى الناس ؟ قال : الذى يقول :

رأيتُ السُّهَيلَين اُستوى الجودُ منهما ... على بُعْد ذا من ذاك فى حُكْم حاكِمِ

(١) السمنية ، بضم ففتح : قوم من أهل الهند دهريون . وقيل : من عبدة الأصنام ، يقولون بالتناسخ ، وينكرون وقوع العلم بالأخبار . نسبة إلى « سومنات » بلد بالهند .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فأتلفت » . وفى بعض آخر : « فبذرت » .

(٣) هو فى الجزء (١٨ ص ٩٤ بلاق) ولا ندرى أين سيكون مكانه من كتابنا هذا .

سُهَيل بن عثمانٍ يجود بماله كما جاد بالوَجْعا[1] سُهَيلُ بن سالمِ

وهذه الأبيات كلها لبشّار .

له وقد سئل عن إحسانه فى تشبيه

وقيل لبشّار وقد أنشد :

كأنّ مُثار النَّقْع فوق رُءوسنا وأسيافَنا ليلٌ تَهاوَى كواكبُهْ

ما قال أحدٌ أحسنَ من هذا التَّشبيه ! فمن أين لك هذا ولم تَرَ الدُّنيا قطّ ولا شيئاً فيها ؟ فقال : إن عدم النظر يُقوِّى ذكاءَ القلب و يقطَع عنه الشغلَ بما يَنظر إليه من الأشياء ، فيتوفّر حِسّه وتذكو قريحتُه . ثم أنشدهم قولَه :

عَمِيتُ جَنِيناً والذَّكاءُ من العَمَى فجئتُ عجيبَ الظنِّ للعِلْمِ مَوْئلاَ

وغاضَ صفاء العَيْن للعلْم فاقتدى بقلب[2] إذا ماضَيَّع الناسُ حَصّلا

وشِعْرٍ كنَوْر الرَّوض لاءمتُ بينه بقولٍ إذا ما أَحزن الشعرُ أَسْهلا

عتابه لامرأة واعدته فأخلفت

وقيل : كان بشّار يهوى امرأة من أهل البصرة ، فراسلها يسألها زيارتَه . فوعدتْه بذلك وأخلفته . وجعل يَنتظرها ليلةً أجمعَ حتى أصبح . فلمّا لم تأته كتب إليها يُعاتبها . فاعتذرت بمرض أصابها . فكتب إليها :

يا ليلَتى تزداد نُكْرَا من حُبّ من أحببتُ بِكْرَا

حَوْراء إن نَظرت إليـ ـكَ سقتكَ بالعينين خَمرا

وكأنّ رَجْعَ حديثها قِطَعُ الرِّياض كُسِينَ زَهْرا

وكأنّ تحت لسانها هاروتَ يَنْفُث فيه سِحْرا

وتَخال ما جمعَتْ عليـ ـه ثيابَهـا ذَهباً وعِطْرا

وكأنّهـا بَرْدُ الشّرا ب صَفاَ ووافق منك فِطْرا

(١) الوجعاء ، ممدودة ، وقصرت للشعر : السافلة ، وهى الدبر .

(٢) هذه رواية الأصل . وفى بعض أصول الأغانى :

« وغاض ضياء العين للعلم رافداً * لقلب » .

رأى إسحاق فيه

قيل : وكان إسحاق الموصلىّ لا يعتدّ بشعر بشّار ويقول : هو كثير التّخليط فى شِعره ، وأشعارُه مُختلفة لا يُشبه بعضُها بعضاً . أليس هو القائل :

إنما عَظْمُ سُلَيمى حِبَّتى ... قَصَبُ السُّكَّرِ لا عَظْمُ الجَمَلْ

وإذا أدنيتَ منها بَصَلاً ... غَلَبَ المِسكُ على ريح البَصَل

لو قال كُلَّ شىء جيّد ثم أُضيف إليه هـذا لزَيَّفه . وكان يُقدِّم عليه مروان ابن أبن حفصة ، ويقول : هو أشدُّ استواءً شِعْر منه ، وكلامُه ومذهبُه أشبهُ بكلام العرب ومذاهبها . وكان لا يَعُدّ أبا نُوَاس البتةَ ولا يَرى فيه خيراً .

غير هجاء له فى المنصور وجعله فى أبى مسلم

وذُكر أنه دَخل بشّار على إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن على بن أبى طالب، عليهم السلام ، وأنشده قصيدةً يهجو فيها أبا جَعفر المنصور ، ويُشير عليه برأى يَستعمله فى أمره . فلما قُتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن خاف بشّار ، فقلب الكُنية وأظهر أنه كان قالها فى أبى مُسلم صاحب الدعوة ، فجعل مكان « أبا جعفر » «أبا مسلم» ومكان « سلامة » أم المنصور : «وشيكة» وهى أم أبى مُسلم . وحَذف منها أبياتاً صرّح فيها بولد فاطمة عليها السلام ، وأولها :

أبا جعفر ما طُولُ عَيْشٍ بدائمِ ... ولا سالمٌ عمّا قليلٍ بسالمِ

على المَلك الجبَّار يَقْتحِم الرَّدى ... ويَصرعه فى المأزِق المُتلاحم

كأنّك لم تَسمع بقتل مُتوَّج ... عظيمٍ ولم تَعلم بقَتْل[1] الأعاجم

تَقَسَّم كِسْرى رهطُه بسُيوفهم ... وأمسى أبو العبَّاس[2] أحلامَ نائم

مُقيماً على اللذّات حتى بَدَت له ... وجوهُ المَنايا حاسرات العَمائم

ومَرْوانُ[3] قددارتْ على رأسه الرَّحى ... وكان لِمَا أجرمْتَ نَزْر الجَرائم

فأصبحتَ تَجْرى سادراً فى طريقهم ... ولا تَتَّقى أشباهَ تلك النَّقائم

(١) هذه رواية الأصل . والذى فى بعض أصول الأغانى : « ولم تسمع بفتك » .

(٢) أبو العباس : هو الوليد بن يزيد . (٣) مروان ، هو مروان الحمار ، آخر ملوك بنى أمية .

تجرَّدتَ للإسلام تعفُو[1] طريقه ... فتُعْرِى مَطاه[2] للُّيوث الضَّراغِم
فما زِلْتَ حتى اُستَنْصر الدينُ أهلَه ... عليك فعاذُوا بالسُّيوف الصَّوارِم
فَرُمْ وَزَراً يُنْجيك[3] يابن سَلَامةٍ ... فلستَ بناجٍ من مَضِيم وضائم
لحى الله قوماً رأَّسوك عليهمُ ... وما زِلْتَ مَرْءوساً خَبِيثَ المَطاعم
أقولُ لبسَّامٍ عليـــه جلالةٌ ... غـدا أَرْيحيًّا عاشِـقاً للمَكارم
مِن الفاطميِّين الدُّعاةِ إلى الهُدى ... جِهاراً ومَن يُنْجيك مثلُ اُبن[4] فاطم
سِراجٌ لعين المُستضىء وتارةً ... يَكُون ظلاماً للعـــدوِّ المُزاحِم
إذا بلغَ الرأيُ المَشورةَ فاُستعنْ ... برأيِ نَصيح أو نَصيحة حازِم
ولا تَجعلِ الشُّورى عليك غَضاضةً ... فإنّ الخَوافى قُوَّةٌ للقوادم
وماخيرُ كفٍّ أمسكَ الغُلُّ أُختَها ... وما خَيرُ سيفٍ لم يُؤيَّد بقائم
وخَلِّ الهُوَينا للضَّعيف ولا تَكُن ... نَؤوماً فإن الحزم ليس بنـــائم
وحارِبْ إذا لم تُعْطَ إلّا ظُـلَامة ... شَبَا الحربِ خيرٌ من قَبول المظالم

بينه وبين الأصمعى فى المشورة

وقال الأصمعىّ لبشار : يا أبا مُعاذ ، إن الناس يعجبون من أبياتك فى المَشورة فقال : يا أبا سَعيد ، إنّ المُشاوِرَ بين صوابٍ يفوز بثمرته أو خطأٍ يُشارَك فى مكروهه . فقلت : أنت واللهِ فى قولك هذا أشعرُ منكَ فى شعرك .

بينه وبين بعض موالى المهدى فى تفسير بعض الآيات

وقيل : كان بشّار جالساً فى دار المَهدىّ والناسُ ينتظرون الإذنَ . فقال بعضُ موالى المهدى لمن حَضر : ما قولُكم فى قول الله عزّ وجلّ : (وأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اُتَّخِذِى مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا) ؟ فقال بشّار : النَّحلُ التى يعرفها الناسُ . فقال : هيهات يا أبا مُعاذ ! النحلُ : بنو هاشم . وقوله (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) يعنى العِلم . فقال له بشّار : أَرانى الله شرابَك

(١) فى بعض أصول الأغانى : « سبيله » مكان « طريقه » .
(٢) المطا : الظهر .
(٣) جعل مكانها : « بابن وشيكة » .
(٤) يريد « فاطمة » فرخم .

وطعامَك وشِفاءَك فما يخرج من بطون بنى هاشم ، فقد أوسعْتنا غَثاثةً . فغَضِب وشَتم بشّاراً . و بلغ المهدىَّ الخبرُ ، فدعى بهما فسألهما عن القصّة ، فحدّثه بشّار بها ، فضحك حتى أمسك على بَطنه ، ثم قال للرجل : أجلْ ! فجعل الله طعامَك وشَرابَك ممّا يخرُج من بُطون بنى هاشم ، فإنك باردٌ غَثّ .

هو ويزيد الحميرى والمهدى

وقيل : دخل يزيدُ بن مَنصور الحِمْيرىّ ، خال المَهدى ، على المهدىّ و بشّار بين يديه يُنشده قصيدةً يَمدحه بها ، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيدُ بن مَنصور ، وكانت به غفلة ، فقال له : يا شيخ ، ما صِناعتُك ؟ فقال : أثقُب اللُّؤلؤ . فضَحك المهدىُّ . ثم قال لبشار : أتَتنادر على خالى ! فقال له : وما أصنع به ! يرى شيخاً أعمى يُنشد الخليفة شعراً و يسأله عن صناعته !

بينه وبين بعضهم فى شعره

وقال بعضُهم : قلتُ لبشّار : بينما تقول شعراً تُثير به النَّقع وتَخلع به القُلوب ، مثل قولك :

إذا ما غَضِبنا غَضْبةً مُضريَّةً هَتَكنا حجابَ الشَّمس أو تُمْطِر الدَّمَا
إذا ما أعَرْنا سيِّداً من قَبيلة ذُرى مِنْبرٍ صلّى علينا وسلّما

تقول :

ربابةُ ربَّةُ البيتِ · تَصُبُّ الخلَّ فى الزَّيتِ
لها عَشْرُ دَجاجاتٍ ودِيكٌ حَسَنُ الصَّوت

فقال : لكُلِّ شىء وجهٌ وموضعٌ ، فالقولُ الأولُ جِدٌّ ، وهذا قلتُه فى رَبابة جاريتى ، وأنا لا آكُل البيضَ من السُّوق ، ورَبابةُ هذه لها عَشْر دجاجاتٍ وديكٌ ، وهى تَجْمع لى البيضَ عندها ، فهذا عندها من قولى أحسنُ من :

* قِفَا نَبْكِ من ذِكْرى حَبيبٍ ومنزل *

عندك .

هو وقد سئل عن حشوه شعره

وقيل : كان بشّار يحشُو شعرَه إذا أعوزتْه القافيـةُ والمعنى بالأشياء التى لا حقيقة لها ، فمن ذلك أنه أنشد يوماً شعراً له ، فقال فيه :

* غَنِّى للغريض يابنَ قنـانِ *

فقيل له : مَن ابنُ قنان هذا ؟ لسنا نَعرفه من مُغَنِّى البصرة ؟ فقال : وماعليكم منه ! ألـكم قِبَـله دَيْنٌ فتطلبُوه به ، أو ثأرٌ تريدون أن تُدركوه ، أو كَفلتُ لـكم به فإذا غاب[1] طالبتُمونى بإحضاره ؟ فقالوا : ليس بيننا و بينه شىء من هذا ، و إنما أردنا أن نعرفه . فقال : هو رجل يُغنِّى لى ولا يخرُج من بيتى . فقـالوا له : إلى متى ؟ فقال : من يوم وُلد إلى أن يموت .

قيل : وأنشدنا يوماً :

. . . . ووافا * نى هلالُ السماء بالبَرَدان *

فقُلنا : يا أبا مُعـاذ ، أين البردان هــذا ؟ لسنا نعرفه فى البصرة . فقال : هو بيت فى دارى سميتُه البردان ، أفعليـكم من تَسميتى دارى و بيوتهـا شى فتسألونى عنه ؟

وقال راويةُ بشّار : كُنّا عنده يوماً فأنشدنا قولَه :

وجاريةٍ خُلقتْ وحــدَها ٠ فـكُلّ[2] النِّساء لديها خَدَمْ
دُوَار[3] العَذَارَى إذا زُرْنها أطَفْن بحَـوْراء مِثل الصَّنم
ظَمِئتُ إليهـا فلم تَسْـقنى بريّ ولم تَشْفِنى من سقَم
وقالت هَوِيتَ فمُتْ راشِـداً كما مات عُـروةُ غمًّا بغَمّ
فلما رأيتُ الهــوَى قاتلى ولستُ بجــارٍ ولا بابنِ عَمّ

(١) فى التجريد : « جاء » .
(٢) رواية بعض الأصول : « كأن » .
(٣) دوار : صنم للعرب كانوا ينصبونه ويدورون به . وهو هنا على التشبيه .

دَسستُ إليهـا أبا مِجْلَزٍ وأىّ فتَى إن أصاب اُعـتَزم
فمـا زال حتى أنابتْ له فراح وحـــلّ له ما حَرُم

فقال له رجل : من أبو مجلز هذا يا أبا مُعاذ ؟ قال : وما حاجتك إليه ! ألك عليه دَين فتُطالبه به ! هـذا رجل يتردّد بينى و بين مَعارفى فى رسالة[1] .

قال : وكان كثيراً ما يحشُو شعرَه بمثل هذا .

شعره فى قينة

وقيل : كانت بالبصرة قَينة لبعض ولد سُليمان بن علىّ ، وكانت مُحسنة بارعةَ الظَّرف ، وكان بشّار صديقاً لسيّدها ومدّاحاً له ، فحضر مجلسَه يوماً والجارية تُغنّى ، فسُر بحُضوره فشَرب حتى سَكر ونام ، ونهض الناس ونَهض بشار ، فقالت له : يا أبا مُعاذ ، أُحِبّ أن تذكُر يومَنا هـذا فى قصيدة ولا تذكُر فيها اُسمى ولا اُسم سيّدى وتكتُب بها إليه . فانصرف وكتب إليه :

وذاتِ دلٍّ كأنّ البـدرَ صُورتُها باتتْ تُغنّى عميدَ القَلْب سكرانَا :
(إنّ العُيون التى فى طَرفها حَورٌ قتلننـا ثم لم يُحْيين قَتْلانا)
(يَصْرعْن ذا اللُّب حتى لاحَراكَ به وهُنّ أضعفُ خَلْق الله أركانا)
فقلت أحسنتِ ياسُؤلى و يا أَملى فأَسْمِعينى جـزاكِ الله إحسانا :
(يا حبّذا جَبلُ الرَّيان[2] من جَبلٍ وحبّذا ساكنُ الريّان مَنْ كانا)
قالت فهلّا فدتْك النفسُ أُحسن مِنْ هذا لِمَنْ كان صبَّ القلب حَيْرانا:
(ياقوم أُذنى لبَعض الحىّ عاشقةٌ والأُذن تَعْشق قبل العَين أحيانا)
يا ليتنى كنتُ تُفّاحا تُفلّجه أو كنتُ من قُضُب الرَّيحان ريحانا
حتى إذا وجدتْ ريحى فأَعجبها ونحن فى خلوةٍ مُثّلتُ إنسانا
فحركتْ عُودَها ثم اُنثنت طَرباً تَشْدو به ثم لا تُخْفيـه كِتْمانا :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فى رسائل » .
(٢) الريان : جبل فى ديار طيء . (٣) فى بعض أصول الأغانى : « مفلجة » .

(أصبحتُ أطوعَ خَلْق الله كُلِّهِم ... لأَكثر الخلق لى فى الحُب عِصْيانا)
فقلتُ أطر بتِنا يا زينَ مَجْلسنا ... فهاتِ إنك بالإحسان أَولانا
لو كنتُ أعلم أنّ الحُب يقتُلنى ... أعددتُ لى قبل أن ألقاكَ أكفانا
فغنَّت الشَّرْب صوتاً مُؤْنقاً[1] رَمَلاً ... يُذْكى السُّرور ويُبْكى العين ألوانا:
(لا يَقتُلُ اللهُ من دامتْ مودَّتُه ... والله يقتُل أهل الغَدر أحيانا)

ووجّه بالأبيات إليها . فبعث إليه سيدُها بألفَىْ درهم[2] وسُرَّ بها سُروراً شديداً .

بينه وبين هلال ابن عطية

وذُكر أنّ هلالَ بن عطية قال لبشّار ، وكان صديقاً له يُمازحه : إنّ الله لم يُذْهب بصرَ أحدٍ إلّا عَوَّضه شيئاً ، فما عَوَّضك ؟ قال : الطويلَ العريضَ . قال : وما هو ؟ قال : ألّا أَراك ولا أمثالك من الثُّقلاء . ثم قال له : يا هلال ، أتُطيعنى فى نَصيحة أخصك بها ؟ قال : نعم . قال : إنك كنت تَسرق الحميرَ زماناً ثم تُبت وصِرت رافضيًّا ، فعُد إلى سرقة الحُمير ، فهو والله خيرٌ لك من الرِّفْض[3] .

بينه وبين رجل من عكل

وقال بعضُهم : مَررت أنا ورجلٌ من عُكْل بقَصر أوس[4] ، وإذا نحن ببشّار فى ظِلّ القَصر وحدَه ، فقال لى العُكْلى : لا بُدَّ لى من أن أعبث ببشّار . فقلت : ويحك ! مَهْ ، لا تُعرِّض نفسَك وعِرْضك له . فقال : إنى لا أَجده فى وقتٍ أخلَى منه فى هذا الوقت . فوقف ناحيةً ودنا منه وقال : يا بشّار . فقال : من هذا الذى لا يَكْنينى ويَدعونى باسمى ؟ قال : سأُخبرك من أنا ، فأَخبرنى أنت عن أُمك ، أولدتْك أَعمى أم عَمِيتَ بعد أن ولدتْك ؟ قال : وما تُريد من ذلك ؟ قال : وددتُ لو فُسِح لك فى بَصرك ساعةً لِتنظُرَ إلى وجهك فى المرآة ، فعسى أن تُمسك

(١) مؤنقاً : معجباً . والرمل : ضرب من الأغانى . (٢) فى بعض الأصول : « دينار »
(٣) الرفض ، بالكسر : مذهب الرافضة . وهم فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن على ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين ، فأبى فرفضوه وانفضوا عنه ، فسموا الرافضة .
(٤) قصر أوس بالبصرة ، وهو منسوب إلى أوس بن ثعلبة ، ولى خراسان فى عهد الأمويين .

عن هِجاء الناس وتعرفَ قدرك . فقال : ويحكم ! مَن هذا ! أما أحدٌ يُخبرنى من هذا ؟ فقال له : على رِسْلِك ، أنا رجل من عُكْل وخالى يبيع الفَحْم ، فما تقدر أن تقول فىّ ؟ قال : لا شىء ، بأبى أنت اُذهب فى حِفْظ الله .

له فى مدح خالد البرمكى

وقيل : كان المُسترْفِدون[1] يُسمَّون فى قديم الزَّمان السؤَّال ، إلى أيام خالد بن يَرمك، فقال خالد : هذا والله اسم أستقبحه[2] لطالب الخير ، وأرفع قَدر الكريم أن يُسمَّى به هؤلاء المؤمِّلين ، لأنَّ فيهم الأشرافَ والأحرارَ وأبناء النِّعيم ، ومن لعلّه خيرٌ ممن يقصِد وأفضلُ أدباً ، ولكنّا نُسميهم الزُّوار . فقال بشّار يَمدحه :

حذا خالدٌ فى فِعله حَذْوَ بَرْمكٍ ... فمجدٌ له مُستطرف[3] وأَثيلُ
وكان ذَوُو الآمالِ يُدْعون قبله ... بلَفظ على الإعدام فيه دليل
يُسمَّون بالسُّؤَّال فى كلِّ مَوطن ... وإن كان فيهم نابهٌ وجَليل
فسمّاهم الزُّوارَ سَتْراً عليهمُ ... فأستارُه فى المُجتدين سُدُول

وقال بشَّار هذا الشعر فى مَجلس خالد فى الساعة التى تَكلّم فيها خالد بهذا الكلام فى أمر الزوَّار ، فأعطاه لكُل بيت ألف درهم .

هجاؤه جارًا له

وقيل : نَهق حمار ليلةً بقُرب بشَّار ، فخَطر بباله بيتٌ ، فقال :

ما قام أيرُ حمارٍ فاُمتلا شَبقاً ... إلّا تحرَّك عرقٌ فى اُسْت « تَسْنيم »

ولم يُرد تَسْنيماً بالهِجاء ، لكنه لمَّا بلغ إلى قوله « إلا تحرك عرق » قال : فى اُست من ؟ فى اُست من؟ ومرَّ تسنيم بن الحوارى ، وكان صديقَه فسلّم . فضحك ثم قال : فى اُست تسنيم عَلِم الله . فقال له : أيش[4] ويحك ! فأنشده البيتَ .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الزوار » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « أستثقله » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « وأصيل » مكان « وأثيل » .
(٤) أيش ، بمعنى : أى شىء . سمع عن العرب . وقيل : إنه مولد .

فقال له : عليك لعنة الله ! فما عندك فرق بين صديقك وعدوّك ! أىّ شىء حملك على هذا ؟ ألا قلتَ : فى أست حمّاد الذى هجاك وفضحك وأعياك ، وليست قافيتك على الميم فأعْذِرَك ! فقال : صدقتَ والله فى هذا كُلِّه ، ولكن ما زلتُ أقول : فى أست مَن ؟ ولا يخطُر ببالى أحدٌ حتّى مررتَ فسلّمت فرُزِقته . فقال له تسنيم : إذا كان هذا جوابَ السَّلام ، فلا سلّم اللهُ عليك ولا علىّ حين سلّمتُ عليك . وجعل بشار يَضحك ويُصفّق بيديه ، وتَسنيم يشتُمه .

بينه وبين زوجه فى هيبة الناس له

وقيل : قالت امرأة بشار : ما أَدْرى لِمَ يهابُك الناسُ مع قُبح وجهك ! فقال لها بشّار : ليس من حُسنه يُهاب الأسدُ .

بينه وبين عقبة ابن رؤبة فى الرجز

وقيل : دَخل بشّار على عُقبة بن سَلْم وعنده عُقبة بن رُؤبة بن العجّاج، فأنشده عُقبة بن رُؤبة رَجزاً يمدحه به . فَسمعه بشّار وجَعل يَستحسن ما قال إلى أن فرغ . ثم أقبل على بشّار فقال : هذا طِراز لا تُحسنه أنت يا أبا مُعاذ . فقال بشّار : إلىّ يُقال هذا ! أنا والله أرجز منك ومن أبيك ومن جدِّك . فقال له عُقبة بن رؤبة : أنا والله وأبى فَتحْنا بابَ الغَريب والرَّجز ، وإنّى لخليقٌ أن أسُدَّه عليهم . فقال له بشّار : أرحمهم يَرْحَمك الله . قال عُقبة : أتستخفُّ بى يا أبا مُعاذ وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر ! فقال بشّار : فأنت إذن من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرِّجْس وطهَّرهم تطهيراً ! ثم خَرج من عند عُقبةُ بن سَلْم مُغضَباً . فلما كان من الغدِ غدَا على عُقبة بن سلم وعنده عُقبة بن رُؤبة ، فأنشده أرجوزته التى أولها :

يا طَلَلَ الحىِّ بذاتِ[1] الصَّمْدِ ... بالله خَبِّر كيف كنت بعدِى

يقول فيها :

فامتْ تَراءى إذ رأتْنى وحْدِى ... كالشَّمس بين الزِّبْرِج[2] المُنْقَدِّ

(١) الصمد : موضع فى ديار بنى يربوع . وقيل : هو ماء للضباب .

(٢) الزبرج : السحاب . والمنقد : المتقطع .

صدَّت بخدٍّ وجَلَت عن خَدٍّ ثم أنثنت كالنَّفس المُرتدّ
عَهْدى بها سَقياً له من عَهد تُخلف وعداً وتَفى بوعد
فنحنُ من جَهْد الهوى فى جَهْد وزاهرٍ من سَبِط وجَعْد

ومنها :

وافق حظًّا مَن سَعَى بجدِّ ماضرَّ أهلَ النَّوْكِ ضَعْفُ[1] الكَدّ
الحرُّ يُلْحَى والعَصا للعبدِ وليس للمُلحف مثلُ الرَّدِّ
والنَّصْفُ يَكْفيك من التعدّى وصاحبٍ كالدُّمَّل[2] المُمِدّ
حملتُه فى رُقعة من جِلْدِى أرقُب منه مثل يوم[3] الوِرْد
حتّى مضى غيرَ فقيد الفَقْد وما دَرَى ما رَغْبتى من زُهْدى

يقول فى مَديحها :

مُشتركَ النَّيل وريَّ الزَّند أغرَّ لبّاسَ ثيابِ الحَمْد
ما كان منِّى لك غيرُ الوُدِّ ثم ثَنائى مثلُ ريح الوَرْد

فطرب عُقبة بن سَلْم وأجزل صِلَته ، وقام عُقبة بن رُؤبة فخَرج عن المجلس بخِزْى ، وهَرب من تحت ليلته فلم يَعُد إليه .

هو والمنصور فى الحج

وقال بعضهم :

حَجَّ المَنصورُ فاُستقْبلناه بالرَّضْم[4] الذى بين زُبالة[5] والشُّقوق[6] . فلما رحل من الشُّقوق رَحل فى وقت الهاجرة ، ولم يَركب القُبَّة[7] وركب نَجيباً ، فسار

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الجد ».
(٢) النصف : الإنصاف . والممد : الذى حدثت فيه المدة . (٣) الورد : من أسماء الحمى.
(٤) الرضم : الحجارة البيض المتراكبة . وهو يريد مكاناً بعينه .
(٥) زبالة : منزلة معروفة بطريق مكة من الكوفة .
(٦) الشقوق : منزل بطريق مكة بعد واقصة من الكوفة . (٧) القبة : الهودج .

بيننا ، فجعلت الشمسُ تصُكّ[١] بين عينيه . فقال : إنى قائل بيتاً فمن أجازه وهبتُ له جُبَّتى هذه . فقُلنا : يقول أمير المؤمنين . فقال :

وهاجرةٍ نَصبْتُ لها جَبِينِي يُقَطِّع حرُّها ظهرَ[٢] العِظايَهْ

فبدرَنا بشَّار الأعمى فقال :

وقفتُ بها القَلُوصَ فغاضَ دَمْعى على خَـــدِّى وأَقْصر واعظايهْ

فنَزع الجُبة وهو راكبٌ فدفَعها إليه . قال : فقلت لبشَّار بعد ذلك : ما فعلتَ بالجُبة ؟ فقال : بعتُها والله بأربعمائة دِينار .

حديث تأخر جائزة عقبة لبشار عن أرجوزته

وقيل : لمّا مَدح بشَّار عُقبةَ بن سَلم بأرجوزته التى تقـــدّم ذكرُها أمر له بخَمسين ألف دِرهم . فأَخَّرها عنه وكيلُه ثلاثة أيَّام . فأمر بشَّارٌ غلامَه أن يكْتُب على باب عُقبة عن يمين الباب :

ما زالَ ما مَنَّيني من هَمِّى والوعدُ غَمٌّ فاسترح[٣] مِن غَمِّى

* إن لم تُرِد مَدْحى[٤] فراقِبْ ذَمّى *

فلمـا خَرج عُقبة رأى ذلك ، فقال : هذه من فَعَلات بشَّار ! ثم دعا بالقَهْرمان[٥] ، فقال له : هل حملتَ إلى بشَّار ما أمرتُ له به ؟ فقال : أيها الأمير ، نحن مُضِيقونَ ، وغداً أحمله إليه . فقال : زد فيه عشرةَ ألف دِرْهم أُخرى واحملْها الساعة . فحَملها من وقته .

وذُكِر أنّ المَهـدىّ نَهى بشَّاراً أن يذكُر النِّساء فى شِعْره لافتتانهنّ به[٦] ،

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « تضحك » بمعنى تتلألأ .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ظهرها » مكان «حرها» . والعظاية : دويبة تشبه سام أبرص .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « فأزح » .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « حمدى » مكان « مدحى » .

(٥) القهرمان : الوكيل ، أو أمين الدخل والخرج .

(٦) به ، أى بشعره .

هو والمهدى وقد نهاه عن ذكر النساء فى شعره

وكان المهدىّ أشدّ الناس غَيْرةً . فقيل للمهدىّ : ما أحسبُ هـذا يكون أبلغ من شعر جَميل ، وكُثيِّر ، وعُروة بن حِزَام ، وقيس بن ذَريح ، وتلك الطَّبقة . فقال المهدىّ : ليس كُل من يَسمع تلك الأَشعار يَفهم المُراد منها ، وبشّار يُقارب النساء حتى لا يَخفى عليهنّ ما يقول وما يُريد ، وأى حُرّة حَصَانٍ تَسمع قولَ بشّار ولا يؤثّر فى قلبها ، فكيف بالمرأة الغزِلة والفَتاة التى لا هَمَّ لها إلا الرِّجال ! ثم أنشد المهدىُّ قولَه :

قَد لامَنى فى خَليلتى عُمَـرُ ... واللَّومُ فى غَـير كُنْهه ضَجَرُ
قال أفِقْ قلتُ لا فقـال بلَى ... قد شَاع فى الناس منكمُ[1] الخبر
قلتُ وإنْ شاع ما أعتذارىَ[2] مـمّـا ... ليس لى فيـه عندهمُ عُـذُر
ماذا عليهم وما لهم خَرِسُـوا ... لو أنهم فى عُيُـوبهم نَظَروا
أعشَق وَحْـدى ويُؤْخَذون به ... كالتُّرك تَغزو فَيُقتَـل الخزر
حَسْبى وحَسْبُ التى كَلِفْتُ[3] بها ... مـنّى ومنهـا الحديثُ والنَّظَر
أو قُبلة فى خِـلال ذاك وما ... بأسٌ إذا لم تُحَلَّل[4] الأُزر
أو عَضَّـة فى ذِراعها ولها ... فوق ذِراعى من عَضِّها أَثَر
أو لَمْسة دون مِرْطها[5] بيـدى ... والبـابُ قد حال دونه السُّتُر
والسـاقُ برّاقة[6] خَلاخلُها ... أو مَصُّ رِيقٍ وقد عَلا[7] البُهر
واسترختِ الكفُّ للعِراك وقا ... لتْ إيهِ عنِّى والدّمعُ مُنْحَدر

(١) فى بعض أصول الأغانى : « منكما » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وإذ شاع ما اعتذارك » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الذى كلفت به » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « لم تحل لى » .
(٥) المرط : كساء من خز أو كتان يؤتزر به .
(٦) فى بعض أصول الأغانى : « مخلخلها » مكان « خلاخلها » .
(٧) البهر ، بالضم ، وحرك للشعر : تتابع النفس وانقطاعه من الإعياء .

أنهض فما أنتَ كالّذى زعموا ... أنت وربِّى مُعازلٌ أشِرُ
قد غابتِ اليومَ عنكَ حاضِنتى ... واللهُ لى فيك مِنْك يَنْتصر
يا ربِّ خُذْ لى فقد ترى ضَرَعى ... مِن فاسقٍ جاء ما به سَكَر
أهْوَى إلى مِعْضَدى[1] فَرَضَّضه ... ذو قُوة ما يُطاق مُقْتدِر
ألصقَ بى لِحْيةً له خَشُنت ... ذاتَ سَوادٍ كأنها الإبر
حتى عَلانى وأُسْرتى[2] غَيَبٌ ... وَيْلى عليهم لو أنّهم حَضَروا
أُقسم بالله لا نجوتَ بها ... فاُذهبْ فأنت المُساور الظَّفِر
كيف بأُمِّى إذا رأت شَفَتى ... أم كيف إن شاع منك ذا[3] الأثر
قلتُ لها عند ذاك يا سَكَنى ... لا بأسَ إنِّى مُجَرَّب خَبِر
قُولِى لها بَقَّةٌ لها ظُفُر ... إن كان فى البَقِّ ماله ظُفُر

ثم قال المهدىُّ : مثلُ هذا الشّعر يُميل القُلوب ويُلين الصَّعب .

هو وخالد بن برمك وقد وعده فمطله

وقيل: وردَ بشّارعلى خالدبن برمك ، وهو بفارس، فامتدحه ، فوَعده ومَطله، فوقف على طريقه وهو يُريد المَسجد ، فأخذ بلجام بَغلته وأنشده :

أظلّت علينا منكَ يوماً سحابةٌ ... أضاءت لنا برقاً وأبطا رِشاشُها
فلا غَيمُها يُجْلى فييأسَ طامعٌ ... ولا غيثُها يأتِى فيرْوَى عِطاشُها

فحبس بغلته وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وقال له : لن تنصرف السحابةُ حتى تَبُلَّك إن شاء الله تعالى .

هو وابن القعقاع

وقيل :

كان رجلٌ يُقال له سَعْد بن القَعْقاع يَتقدَّم بشاراً فى الخَلَاعة[4] . فقال

(١) المعضد : الدملج . وهو حلى يلبس فى المعصم . (٢) غيب : جمع غائب .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الخبر » مكان « الأثر » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « فى المجانة » .

لبشّار ، وكان يُنادمه : ويحك يا أبا مُعاذ ! وقد نَسبنا الناسُ إلى الزَّنْدقة ، فهل لك أن تَحُج بنا حِجَّة تَنفى ذلك عنّا . قال : نِعْم ما رأيتَ ! فاشتريا بعيراً ومَحْمِلاً ، وركبا ، فلما مَرَّا بزُرارة قال له : ويحك يا أبا مُعاذ ! ثلثمائه فرسخ متى نَقطعها ! مِلْ بنا إلى زُرارة نتنعّم فيها ، فإذا قَفل الحاجُّ عارضناهم بالقادسيّة وجَزَزْنا رُءوسَنا ، فلم يَشُكَّ أحدٌ من الناس أنّا جِئنا من الحجّ . فقال له بشّار : نِعْم ما رأيتَ لولا خبثُ لسانك ، فإنى أخاف أن تَفْضَحنا . قال : لا تخفْ . فمالا إلى زُرارة ، فما زالا يَشْربان الخمر ويَفْسُقان ، فلما نَزل الحاجُّ بالقادسية راجعين ، أخذا بعيراً ومَحْمِلاً وجَزَّا[1] شُعورهما وأقبلا ، وتلقّاهما الناسُ يُهَنِّئونهما . فقال سعدُ بن القَعقاع :

ألم ترَنى وبَشَّاراً حَجَجْنا ... وكان الحجّ من خير التِّجارَهْ
خرجْنا طالبيْ سَفَرٍ بعيدٍ ... فمال بنا الطريقُ إلى زُراره
فآب الناسُ قد حَجُّوا[2] جميعاً ... وأُبْنا مُوقَرين من الخسَاره

هو وقوم حضروه فعابوا عليه أشياء

وحَكى داود بن رَزين قال :

أتينا بشَّاراً فأَذن لنا والمائدة بين يديه ، فلم يَدْعُنا إلى طَعامه ، فلما أكل دَعا بطَسْت فكَشف عن سَوْءته فبال . ثم حضرتِ الظهرُ والعصرُ والمغرب[3] فلم يُصلِّ . فدنونا منه فقُلنا له : أنت أستاذُنا وقد رأينا منك أشياء[4] نَكرهها . قال : وما هى ؟ قلنا : دَخلنا والطعامُ بين يديك فلم تدعُنا إليه . فقال : إنما أَذنتُ لكم لتأكلوا ، ولو لم أُرد أن تأكلوا ما أذنتُ لكم ؟ قلنا : ودعوتَ بالطَّسْت فبُلْتَ فيه ونحن حُضور نَراك . فقال : أنا مكفوف وأنتم بُصراء ، وأنتم المأمورون

(١) فى الأصل : « واستأصلا » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وبروا » مكان « جميعاً » .
(٣) هذه الكلمة « والمغرب » ساقطة من أكثر أصول الأغانى .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « أنكرناها » مكان « نكرهها » .

بغَضّ الأبصار دونى ، ثم مَه[1] ؟ قلنا: حضرتِ الظُّهر والعصرُ والمَغرب فلم تُصلِّ . قال : إنّ الذى يَقْبلها تفاريقَ يَقْبلها جُملةً .

هو وثقيل جلس إليه

وقيل :

قَعد رجلٌ إلى جَنْب بشَّار ، فاستثقله بشَّار . فضَرط عليه بشارضَرْطة ، فظنّ الرجلُ أنها أفلتت منه . ثم ضَرط أُخرى . فقال : أفلتت . ثم ضَرِط ثالثة[2] . فقال : يا أبا مُعاذ ، ما هـذا ؟ قال : مه ! أرأيتَ أم سمعت ؟ قال : بل سمعتُ صوتاً قَبيحاً . قال : فلا تُصدِّق حتى ترَى .

شعر له فى ثقيل

وأنشد بشّار فى ثَقيل يقال له أبو سُفيان :

ربما يثقُل الجليسُ وإن كا ... ن خفيفاً فى كِفَّة المِيزانِ
كيف لا تحمل الأمانةَ أرضٌ ... حَملتْ فوقها أبا سُفيان

طرب الوليد بشعر له

وقيل : أُنشد الوليدُ بن يزيد قولَ بشَّار الأعمى :

أيها السَّاقيانِ صُبّا شَرَابى ... وأسْقِيانى من رِيق بَيْضاء[3] رُودِ
إنَّ دائى الظَّمَا وإنْ[4] شِفائى ... شَرْبةٌ من رُضَاب ثَغْرٍ بَرُود
ولها مَضْحكٌ كَغُرِّ الأقاحى ... وحديثٌ كالوَشْيِ وَشْيِ البرُود
نزلتْ فى السَّواد من حَبَّة القَلْـ ... ـب ونالتْ زِيادةَ المُستزيد
ثم قالت نَلْقاك بعد ليالٍ ... واللَّيالى يُبْلين كُلَّ جَديد
عندها الصبرُ عن لقائى وعندى ... زَافراتٌ يأكُلْن قلبَ الجَليد

فطرب الوليدُ وقال : مَن لى بمزاجِ كأسِى هذه من رِيق سَلْمى فَيرْوَى ظَمئى وتَطْفأ غُلَّتى ! ثم بكى حتى مَزج الكأس بدَمعه وقال : إنْ فاتَنَا ذاك فهذا .

(١) مه ، أصلها «ما» فأبدلت الألف هاء للسكت . (٢) فى بعض أصول الأغانى : «أخرى» .
(٣) الرود ، بالهمز وسهل : الشابة الحسنة الشباب . (٤) فى بعض أصول الأغانى: «وإنى» .

هو وصديق طلب منه ثيابا

وقيل : كان لبشّار صديقٌ بَزاز ، فبعث إليه ذات يومٍ يطلبُ منه شيئاً من الثِّياب بنَسيئة ، فلم يُصادفها عنده . فقال يهجوه :

ألا إنَّ أبا[1] بَدْر زَنَى فى ليلةِ القَدْرِ
ولم يَرْعَ تعالى اللـــه حُرمة ذلك[2] الشَّهر

وكتب بها فى رُقعة وبعث بها إليه . وكان أبو بدر ممن يقول الشِّعر . فقلبها وكتب فى ظهرها :

ألا إنّ أبا بَدْر له فى ذلكم عُذْرُ
أتتــه أمُّ بشّـــار وقد ضـاق بها الأَمْر
فواثبهـــا فجامعهـا وما ساعده الصّبر

فلما قُرئت على بشّار غَضب وندم على تعرُّضه لرجل لا نَباهةَ له، فجعل يَنْطح برأسه غيظاً ، ثم قال : لا تَعرَّضتُ لهجاء سَفِلَةٍ مثل هذا أبداً !

شعر له فى جارية للمهدى

وذُكر أن بشّاراً دخل على المهدىّ ، وقد عُرضت عليه جاريةٌ مُغنّية ، فسَمع غناءها فأَطرب به ، وقال لبشّار : قُل فى صِفتها شعراً . فقال :

ورائحــةٍ للعَيْن فيها[3] مَخيلةٌ إذا بَرقتْ لم تَسْقِ بَطْنَ صَعيدِ
مِن المُستهلات السُّرور على الفَتى خَفَا[4] بَرْقُها فى عُصفر[5] وعُقود
كأنَّ لساناً ساحراً فى كَلامها أُعين بصَوتٍ للقُلوب صَيُود
تُميتُ به ألبابَنـا وقلوبَنـا مِراراً وتُحْيِهن بعـــد هُمود

أنشد عقبة فوصله

وقيل :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « زيد » مكان « بدر » هنا وفيما سيأتى .
(٢) فى بعض أصول الأغانى :
ولم يرع تعالى الله ربى حرمة الشهر
(٣) الرائحة : السحابة تجىء رواحا . والمخيلة : الظن . (٤) خفا البرق : لمع وظهر .
(٥) فى عصفر ، يريد ثيابها المعصفرة . وفى بعض أصول الأغانى : « فى عبقر » .

دخل بشّار يوماً على عُقبة بن سَلْم فأنشده قولَه فيه :

إنما الذَّةُ الجَواد ابن سَلْمٍ ... فى عَطاء ومَرْكَب للِّقاء
ليس يُعطيك للرَّجاء ولا الخو ... فِ ولكنْ يلذّ طَعْمَ العَطاء
يسقُط الطيرُ حيث يَنْتثر الحَبُّ وتُغْشَى منازلُ الكُرماء
فعلى عُقْبة السلامُ مُقيماً ... وإذا سار تحت ظِلِّ اللِّواء

فوَصله بعشرة آلاف دِرْهم .

مدح خالد بن برمك فوصله

وقيل :

مَدح بشّارٌ خالدَ بن بَرمك ، فقال فيه :

لَعَمْرِى لقد أَجْدَى علىَّ ابنُ بَرْمَك ... وما كُلُّ من كان الغِنَى عنده يُجْدِى
إذا جِئْتَه للحَمد أشرق وجهُه ... إليك وأعطاك الكريمةَ[1] بالحمد
له نِعَمٌ فى الحَمد[2] لا يَستثيبها ... جزاءً وكَيْلَ التاجرِ المُدَّ بالمُدِّ
مُفيدٌ ومِتْلافٌ سبيلُ تُرَاثه ... إذا ما غدا أو راح كالجَزْر والمَدّ
أخالد إن الحمد[3] يَبْقى لأهله ... جَمالاً ولا تَبقى الكُنوز على الكَدّ
فأَطْعِم وكُلْ من عَارةٍ مُستردَّةٍ ... ولا تُبْقِها إنّ العَوارِىَ للردِّ

فأعطاه خالدٌ ثلاثين ألف درهم ، وكان قبل ذلك يُعطيه فى كُل وِفَادة خَمسة آلاف درهم . وأمر خالد أن يُكتب هذان البَيْتان فى صدر مجلسه الذى كان يَجلس فيه،وقال ابنهُ يحيى بن خالد : آخرُ ما أَوصانى به أبى العملُ بهذين البيتين[4] .

هو وأبو الشمقمق

وقيل : إنّ بشّار كان يُعطى أبا الشَّمَقْمق فى كُل سنة مائتى دِرهم ، فأتاه أبو الشَّمقمق فى بعض تلك السِّنين . فقال : هلم الجزيةَ يا أبا مُعاذ . فقال : ويحك !

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الكرامة » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فى القوم » مكان « فى الحمد » .
(٣) فى الأصل : المدح « مكان » « الحمد » . (٤) يريد البيتين الأخيرين .

أَوَ جَزية منى أيضاً ! قال : هو ما تَسمع . فقال له بشَّار يُمازحه : أنت أفصح منّى ؟ قال : لا . قال : فأعلم منّى بمثالب النـاس ؟ قال : لا . قال : فأشعرُ منى ؟ قال : لا . قال : فلِمَ أُعطيك ؟ قال : لئلا أهجُوك . فقال : إن هجوتنى هجوتُك . فقال له أبو الشَّمقمق : وهكذا هو ؟ قال : نعم ، فقُل ما بدا لك . فقال أبو الشَّمقمق :

إنى إذا ما شـاعرٌ هَجانِيَـهْ ... ولَجَّ فى القَول له لِسَانِيَـهْ
أدخلتُه فى أُستِ أُمِّه علانِيَهْ ... بشَّـار يا بشَّـار ....

وأراد أن يقول « يا بن الزَّانية » . فوثب بشَّـار وأمسك فاه وقال : أراد والله أن يشتُمنى . ثم دفع إليه مائتى دِرهم وقال : لا يَسمعنَّ هذا منك الصِّبيان .

وقيل :

أمر عُقبة بن سَلم لبشَّار بعَشرة آلاف دِرْهم ، وأُخبر أبو الشَّمقمق بذلك ، فوافى بشَّاراً فقال له : يا أبا مُعاذ ، إنِّى مررتُ بصبيان يَلعبون فسمعتُهم يُنشدون :

هَلِّينَـهْ هَلِّينَـهْ ... طَعْنَ قِتَّاةٍ لِتِينَـهْ
إنَّ بشَّـار بن بُرد ... تَيسٌ أعمى فى سَفِينه

فأَخرج إليه بشَّار مائتى درهم وقال : خُذ هذه ولا تكونن راوية للصِّبيان .

هجاؤه للعبـاس ابن محمد

وقيل :

استمنح بشَّارٌ العبّاسَ بن محمد بن علىّ بن عبـد الله بن العبّاس فلم يمنحه ، فقال يهجوه :

ظِلُّ اليَسار على العبّاس مَمْدودُ ... وقَلْبُـه أبداً بالبُخل[1] مَعْقودُ
إنَّ الكريمَ ليُخفى عنك عُسْرته ... حتى تَراه غنيًّا وهو مَجْهود
وللبخيـل على أمواله عِلَلٌ ... زُرْق العُيون عليها أوجُهٌ سُود

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فى البخل » مكان « بالبخل » .

إذا تكرَّهت أن تُعطى القليلَ ولم تَقْدر على سَعَة لم يَنْفع[1] الجُودُ
أَوْرِقْ بخير تُرَجَّى للنَّوال فما تُرْجَى الثِّمار إذا لم يُورِق العود
بُثَّ النَّوال ولا تَمْنَعْك قِلَّتُه فكُلُّ ما سَدَّ فَقراً فهو مَحْمود

بين إسحاق الموصلى وبعضهم فى شعر بشار

وقال بعضهم :

كان إسحاقُ الموصليُّ يضَع من شعر بشّار ويقول : إن كلامه مُختلف لا يُشبه بعضُه بعضاً . فقلت : أتقول هذا القولَ لمن يقول :

إذا كنتَ فى كُلّ الأُمور مُعاتِباً صديقَك لم تَلْقَ الذى لا تُعاتبُه
فعِشْ واحداً أوصِلْ أَخاك فإنّه مُقارِفُ[2] ذَنْبٍ مرةً ومُجانبه
إذا أنت لم تَشرب مِراراً على القَذَى ظمِئْتَ وأىُّ الناس تَصْفو مَشارب به

شعر له نسب للمتلمس

وهذه الأبيات من قصيدة يمدح بها بشَّارُ ابنَ هُبيرة ، منها :

أحلَّت به أُم المَنـــايا بَناتِها بأَسيافنا إنّا رَدَى مَن نُحارِبه
وكنّا إذا دَبَّ العدوُّ لسُخطنا وراقَبنا فى ظاهرٍ لا نُراقبه
ركِبْنا له جَهْراً بكُل مُثَقَّفٍ وأبيضَ تَسْتسقى الدِّماء مَضارب به

وذُكر أنه أُدعى شُبَيل بن عَزْرة[3] أن هذه الأبيات الثلاثة المذكورة للمتلمّس . وذكر ذلك لأبى عُبيدة . فأخبر أبو عُبيدة بذلك بشّاراً . فقال : كذب والله شُبيل ! لقد مدحت ابن هُبيرة بهذه القصيدة فأعطانى أربعين ألفاً .

سؤال طاهر عن عقب بشار ليبرهم

وذُكر أنه لما خَلع محمدٌ الأمين أخاه عبدَ الله المأمون عن ولاية عَهده ، ونَدب لقتاله علىّ بن عيسى بن ماهان ، نَدب المأمون للقاء علىٍّ بن عيسى طاهرَ بن الحُسين

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لم يظهر » مكان « لم ينفع » .
(٢) مقارف : مرتكب .
(٣) فى الأصل : « عروة » . والتصويب من شرح القاموس والطبرى .

ابن مُصعب، وجلس لعَرْضه وعَرْض أصحابه . فمَرّ ذو اليَمينَين[1] مُعترضاً وهو يُنشد :

رُوَيدَ[2] تصاهَلْ بالعِراق[3] خيولُنا كأنّك بالضحّاك قد قام نادبُهْ

فتفاءل المأمونُ بذلك ، وأُستدناه فَدنا منه ، وأُستعاده البيت ، فأعاده عليه . فقال ذو الرّياستين : يا أمير المُؤمنين ، هو حَجَر العراق[4] . قال : أجل . فلما صار ذو اليَمينين طاهرٌ إلى العراق سأله : ألَا هل بَقِى من ولد بشّار أحد ؟ فقالوا : لا . قال الراوى : فتوهّمْتُ أنه قد كان هَمّ لهم بخير .

رضاؤه عن سلم بعد غضب

وقيل :

غضب بشّار على سَلْم الخاسر ، وكان من تَلامذته ورُواته ، فأستشفع عنده بجَماعة من إخوانه . فجاءوه فى أمره . فقال : كُل حاجة لكم مَقْضية إلا سَلْما . قالوا : ما جئناك إلّا فى سَلم ، ولا بُد أن تَرْضى عنه لنا . قال : فأين هو الخَبيث ؟ قالوا : ها هو ذا . فقام إليه سَلم وقبّل رأسه ومَثَل بين يديه وقال له : يا أبا مُعاذ ، خِرّيجك وأَديبُك . قال : يا سَلْم ، من الذى يقول :

مَن راقب الناسَ لم يَظْفر بحاجته وفازَ بالطيّبات الفاتكُ اللَّهِجُ

قال : أنت يا أبا مُعاذ ، جَعلنى الله فِداك . قال : فمن الذى يقول :

مَن راقب الناسَ مات غَمًّا وفاز باللّذة الجَسُورُ

قال : خِرّيجك يقول ذلك — يعنى نفسه — قال : أفتأخذ معانىَّ التى قد عُنيت بها وتَعبت فى أستنباطها ، فتكسوها ألفاظاً أخفَّ من ألفاظى ، حتى يُرْوى

---

(١) قيل : لقب ذا اليمينين ، لأنه ضرب شخصا فى وقعته مع على بن ماهان فقده نصفين ، وكانت الضربة بيساره . فقال فيه بعض الشعراء :

* كلتا يديك يمين حين تضربه *

(٢) رويد ، إذا أردت بها الوعيد نصبتها بلا تنوين .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « جيادنا » مكان «خيولنا » . (٤) يريد أن عليه المعول .

ما تقولُ ويذهبَ شعرى ! لا أرضى عنك أبدا . قال : فما زال يتضرَّع إليه ويَشفع له القومُ حتى رَضِى عنه .

وهذا البيتُ الذى ذكره بشّار من قصيدة له ، منها :

لو كنتِ تَلْقين مانَلْقى قسمتِ لنا ... يوماً نعيش به منكم ونَبْتهجُ
لاخيرفى العَيش إن كُنا[1] كذاأبداً ... لا نَلْتقى وسبيلُ الملتقى[2] نَهَج
قالوا حرامٌ تلاقِينا فقُلت لهم ... مافى التَقاء[3] ولا فى قُبْلةٍ حَرَج

هو وحمادوالأعشى مع عقبة فى مثل أراده

وحَكى بشار قال :

دعانى عُقبة بن سَلم ودَعى بحمّاد عَجْرد وأعشى باهلة ، فلما اُجتمعنا عنده قال لنا : إنه خَطر ببالى البارحة مَثَل يتمثَّله الناسُ : « ذهب الحِمار يطلبُ قرنين فَرجع بلا أُذنين » فأَخْرجوه لى من الشعر ، ومَن أَخرجه فله خمسةُ آلاف دِرهم ، فإن لم تَفعلوا جَلَدْتُكم خَمسمائة . فقال حماد : أجِّلنا أعزَّ الله الأمير شَهراً . وقال الأعشى : أجِّلنا أعزَّ الله الأَمير أسبوعين . و بشّار ساكتٌ لا يتكلّم . فقال له عُقبة : مالك يا أَعمى لا تتكلَّم ! أعمَى الله قَلبك ! قال : قد حَضرنى — أَصلح الله الأَمير — شىء ، فإن أَمرتنى قلتُه . قال : قُل . فقال :

شَطَّ بسَلْمى عاجلُ البَيْنِ ... وجاورتْ أُسْدَ بَنى القَيْنِ
ورنَّتِ النفسُ لها رَنَّةً ... كادتْ بها تَنشقُّ نِصْفين
يابِنْتَ مَن لاأَشْتهى ذكرَه ... أَخْشى عليه عُلَقَ الشَّيْن
والله لو ألقاكِ لا أَتَّقى ... عيناً لقبَّلْتُك أَلْفين
طالبتُها دَيْنى فراغتْ به ... وعَلَّقتْ قَلْبى مع الدَّين

(١) فى معاهد التنصيص : « إن دمنا » .
(٢) نهج : بين واضح .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ما فى التلاقى » .

فصرتَ كالعَيْرِ غدا[1] يَبتَغى قَرْنَا فلم يَرْجِعْ بأُذْنين

فانصرف بشّار بالجائزة .

هو وإخوته

وقيل :

كان لبشّار أَخَوان يُقال لأَحدهما : بِشْر ، والآخر : بشير ، وكانا قصّابين ، وكان أبوهما طَيَّانا ، وكان بشّار برًّا بأَخَويْه ، على أنه ن ضَيِّق الناس صدراً مُتبرّماً بكل أحد ، فكان يقول : اللهم إنى قد تبرّمت بنَفسى وبالنّاس جَميعاً ، اللّهم فأَرِحْنى منهم . وكان إخوتُه يَستعيرون ثيابه فيوسّخونها ويُنْتِنون ريحَها ، فاتّخذ قميصاً له جَيْبان وحَلف ألّا يُعيرهم ثوباً من ثيابه ، فكانوا يأخذُنها بغير علمه ، فإذا دعا بثوبه فلَبسه فأنكر رائحته يقول ، إذا وجدَ رائحةً كريهةً من ثوبه : « أينما أتوجّهْ أَلْقَ سَعداً »[2] . فإذا أعياه الأمر خَرج على الناس فى تلك الثِّياب على نَتْنها ووسَخها ، فيقال : ما هذا يا أبا معاذ ؟ فيقول : هذه ثمرةُ صلة الرَّحم .

لأبيه فى تيمنه به

وقيل : إنّ بشاراً كان يقول الشِّعر وهو صَغير ، وكان أَبوه يقول : ما رأيت مولوداً أعظم بركةً منه ، لقد وُلد لى وما عندى دِرهم واحد ، فما حال الحَوْلُ حتّى جمعتُ مائتى درهم .

فى صباه

وكان بشار فى صغره إذا هجا قوماً جاءوا إلى أبيه فشكَوْه ، فَيضْربه ضرباً شديداً ، وكانت أُمه تقول له : لِمَ تَضْرب هذا الصغير ؟ أما ترحمه ! فيقول : بلى والله ، إنى لأَرحمه ولكنّه يتعرّض للناس فيشكُونه إلىّ . فسمعه بشار فطَمع فيه وقال له : يا أبتِ ، إنّ هذا الذى يشكونهُ إليك منّى قولى الشعر ، وإنّى إن ألمتُ عليه أَغنيتُك وسائرَ أهلى . فإذا شكَوْنى إليك فقُل لهم : أليس الله جلّ وعزّ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « طالبا » مكان « يبتغى » .

(٢) هذا مثل يضرب لمن يلقى سوء المعاشرة فى كل مكان . أصله أن الأضبط بن قريع كان سيد قومه ، فرأى منهم جفوة فرحل عنهم إلى آخرين . فرآهم يصنعون بساداتهم مثل ذلك ، فقال هذا القول .

يقول : (ليسَ عَلى الْأَعْمى حَرَج) . فلمّا عاودوا شَكْواه قال لهم بُرد ما قاله له بشار ، فانصرفوا وهم يقولون : فقْه بُرد أغيظُ لنا من شِعْر بشار .

بينه وبين بعض الشعراء وقد أباحه مالا له

وحكى بعضُ الشعراء قال:

أتيت بشاراً الأعمى وبين يديه مائتا دينار . فقال : خُذ منها ما شئتَ ، أو تَدْرى ما سببُها ؟ قلت : لا . قال : جاءنى فتًى فقال لى : أنت بشار ؟ فقلت : نعم . قال : إنى آليتُ أن أدفع إليك مائتى دينارٍ ، وذلك أنّى عَشقتُ امرأةً وجئتُ إليها وكلّمتُها ، فلم تَلتفتْ إلىّ ، فهممتُ بأن أتركها . ثم ذكرتُ قولك :

لا يُؤْيسنَّكَ من مُحبَّـأةٍ قولٌ تُغلِّظه وإن جَـرَحا
عُسْر النِّساء إلى مُياسرةٍ والصَّعبُ يُمكن بعدما جَمحا

فعدتُ إليها ولازمتُ فناءها ، فلم أبرح حتى بلغتُ منها حاجتى .

هجـاؤه يزيد ابن مزيد وسبب ذلك

وقيل :

وَرد بشّارٌ بغدادَ ، فقصد يزيدَ بن مَزْيد ، وسأله أن يذكره للمهدىّ ، فسوّفه أشهراً . ثم وَرد رَوْحُ بن حاتم ، فبلغه خبرُ بشار ، فذكره للمهدىّ من غير أن يلقاه . فأمر بإحضاره . فدَخل إلى المهدى فأنشده شعراً مَدحه به ، فوصَله بعشرة آلاف دِرهم ، ووهَب له عبـداً وقَينة وكَساه كُسًا كثيرة . فقال بشـار يهجو يَزيد ابن مَزيد :

ولما ائتَقَيْنا بالجَنينـة غَرَّنى بمَعْروفه حتى خَرجتُ[1] أفُوقُ
حَبانِى بعبدٍ قَعْسَرىٍّ[2] وقَينةٍ ووَشْيٍ وآلافٍ لهنّ بَرِيقُ
فقُل ليزيدٍ يَلْعق الشُّهد خالياً لنا دونه عنـد الخَليفة سُوق
رقدتَ فَنَم يا ابن الخَبيثة إنّها مكارمُ لا يَسْطِيعُهنّ لَصِيق

(١) أفوق : قد أصابنى الفواق . يشير إلى ما أثقله به من العطاء . (٢) القعسرى : الصلب الشديد .

أَبَى لك عِرْقٌ من فُلانة أن تُرَى جواداً ورأسٌ حين شِبْتَ حَلِيق

هو و بعض الكوفيين فى بيت لـه

وحكى بعضُ الكُوفيّين قال :

مررتُ ببشار وهو مُتبطِّح فى دِهليز كأنه جاموس ، فقلت له : يا أبا مُعاذ ، مَن القائلُ :

فى حُلَّتى جِسمُ فتًى ناحلٍ لو هَبَّت الريحُ له طَـاحَا

قال : أنا . قلت : فما حَمَلك على هـذا الكَذب ؟ والله إنِّى لأَرى أن الله جلّ وعزّ لو بعث الرياحَ التى أَهلك بها الأُمم الخاليةَ ما حرّكتْك من مَوضعك ! فقال بشار : مِن أين أنت ؟ قلت : من أهل الكُوفة . فقال : يا أهل الكوفة ، لا تَدَعون ثِقَلَكم ومَقْتَكم على كُل حال !

هو والمهدى وقد طلب إليه أن يجيز شعراً له

وقيل :

دخل المهدىُّ إلى بعض حُجر الحَرَم فنظر إلى جاريةٍ منهنّ تَغتسل ، فلما رأته اُستَحْيت ووضَعَت يدَها على فَرْجها . فأنشأ المهدىُّ يقول :

* نظرتْ عَيْنى لَحْيْنى *

ثم أُرتج عليه فقال : مَن بالباب من الشُّعراء ؟ فقالوا : بشار . فأَذن له . فدخل . فقال له : أجز :

* نظرتْ عَيْنى لَحيْنى *

فقال :

« نظرت عيـنى لحينى » نظراً وافق شَـيْنى
سـترتْ لما رأتنى دونَه بالرَّاحتَـين
فَضَلتْ منـه فُضُـولٌ تحت طَىِّ العُـكْنتَـين

فقال له المهدى : قَبحك الله ! ويلك ! أكُنت ثالثنَا ؟ إيه ؟ ثم ماذا ؟ فقال :

فتمنّيتُ وقَلْبى للهوَى فى زَفْرَتَيْنِ
ليتنى[1] كنتُ عليه ساعةً أو ساعَتَيْن

فضحك المهدىُّ وأمر له بجائزة . فقال له : أقنعت يا أمير المؤمنين من مِثل هذه الصفة بساعة أو ساعتين ؟ قال : فكم ويلك ؟ قال : سنةً أو سنتين . فقال : اخرجَ عنّى قَبحك الله ! فخَرج بالجائزة .

هو وامرأة هويها فكادت له

وقيل : كان لبشار مجلسٌ يَجلس فيه بالعشى يقال له : البَرْدان . فَدخل إليه نِسوة فى مجلسه هذا فسمعْن شعره . فعشِق امرأةً منهن وقال لغُلامه : عَرِّفها محبَّتى لها ، واتبعها إذا انصرفت لتعرف منزلَهَا . ففَعل الغلامُ وأخبرها بما أمره به . فلم تُجبه إلى ما أحبّ ، وتَبعها إلى مَنزلها حتى عَرفه . فكان يتردّد إليها حتى برمتْ به ، فشكَتْه إلى زوجها . فقال لها . أجيبيه وعِديه أن يَجيئك إلى هاهنا . ففعلتْ . وجاء بشّار مع امرأة وجهتْ بها إليه . فدخل وزوجُها جالسٌ وهو لا يعلم ، فجعل يُحادثها ساعةً ثم قال لها : ما اسمك بأبى أنت ؟ قالت : أُمامة . فقال :

أُمامةُ قد وُصفتِ لنا بحُسن وإنّا لا نراك فأَلْمِسِينا

فأخذتْ يَده فوضعتْها على أير زوجها وقد أنعظ . ففَزع ووثب قائماً . وقال :

علىّ أليّةٌ ما دمتُ حيًّا أمَسُّكِ طائعاً إلّا بعُودِ
ولا أُهدِى لأَرضٍ أنت[2] فيها سلامَ الله إلّا من بَعيد
طلبتُ غَنيمةً فوضعت كفِّى على أيرٍ أشَدَّ من الحديد
فخيرٌ منكِ مالا خيرَ فيه وخيرٌ من زيارتكم قُعودى

وقَبض زوجُها عليه . وقال : همتُ بأن أفضحَك . فقال له : قد كفانى ، فديتُك ،

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أننى » مكان « ليتنى » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : * ولا أهدى لقوم أنت فيهم *

ما فعلتَ بى، ولستُ والله عائداً إليها أبداً، فحسبُك ما مضى . وتَركه وانصرف .

شعره فى حبه

وقيل :

كان بشار مُغرماً بامرأة تَجيئه إلى مجلسه ، فقال فيها :

يا قومُ أُذْنى لبعض الحىّ عاشقةٌ ... والأُذن تَعشق قبل العين أحياناَ
قالوا بمن لا تَرى تَهْذى فقلتُ لهم ... الأُذن كالعين تُوفى القلبَ ما كانا
هل من دواءٍ لمَشْغوف بجـارية ... يلقَى برُؤيتهـا[1] رَوحاً ورَيْحانا

وقال بشار أيضاً فى هذا المعنى :

قالت عُقَيـل بن كَعب إذ تعلَّقها ... قَلبى فأَضْحى به من حُبِّهـا أَثرُ
أنَّى ولم تَرها تَهْـذِى فقلتُ لهم ... إنّ الفُؤاد يَرى مالا يرَى البَصر
أصبحتُ كالهائم[2] الحَيرانِ مُجتنباً ... لمِبَقضِ وِرْداً ولايُرْجَى له صَدَر

وقال أيضاً فى هذا المعنى :

يُزهِّـدنى فى حُبّ عَبْـدَة مَعْشَر ... قلوبُهُمُ فيهـا مخالِفـةٌ قَلْبى
فقلتُ دَعوا قَلْبى وما اُختاروا ارتَضى ... فبالقلبِ لا بالعَين يُبصر ذو الحُبِّ
فما تُبصر العينان فى مَوضع الهَوى ... ولا تَسمع الأُذْنان إلّا من القلب

أنشد المهدى فى غير الغزل فلم يجزه

قيل :

وكان المهـدىُّ قد نَهى بشاراً عن قول الغَزل ، فاُستأذن على المهدىّ يوماً . فقال له الرَّبيع : قد أَذِن لك وأمرك ألّا تُنشد شيئاً من الغَزل والنَّسيب ، فادخُل على ذلك . فأنشد قوله :

يا منظراً حَسَناً رأيتُـهْ ... مِن وجه جاريةٍ فديتُـهْ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بلقيانها » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « كالحائم » .

بعثتْ إلىّ تَسُـــومنى بُرْدَ الشَّباب وقد طويتُه
واللهِ ربِّ مُحَمَّـــــد ما إن غَدرتُ ولا نَويتُـه
أمسكتُ عنك وربّمـــا عَرض البـلاء وما أُبتغيتُه
إنّ الخَليفـــة قد أَبَى و إذا أَبَى شيئاً أبيتُـــه
ومُخضَّبٍ رَخْص البَنـــا ن بكَى علىَّ وما بكيتُه
ويشوقُنى بيتُ الحبيـ ـب إذاغدوتُ[1] وأين بَيْتُه
حالَ[2] الخليفـــةُ دونه فَصَبَرْتُ عنـــه وما قَلَيْته
ونَهـــانىَ الملكُ الهُمـا م عن النِّســاء فما عَصَيتُه
وأنا المُطِلُّ على العِـدَى و إذا غَلا الحَمْد اُشْتَريْتـه
أُصْفِى الخَليـــلَ إذا دَنا و إذا نأَى عنّى[3] رعيتُـه

ثم أَنشده ما مدَحه به بلا تَشْبيب ، فحرَمه ولم يُعطه شيئاً . فقيـل له : إنه لم يَستحسن شعرَك . فقال : واللهِ لقد مدحتُه بشعر لو مُدح به الدَّهر لم يُخش صرفُه على أحد ، ولـكنّه كذّب أَملى لأنى كذَبت فى قولى . ثم قال فى ذلك :

خَليلىَّ إنّ العُسر سوف يُفيقُ و إنّ يساراً فى غـدٍ لَخَليقُ
وما كنتُ إلّا كالزّمان إذا صَحا صحوتُ و إنْ ماقَ[4] الزمانُ أَمُوق
خليلىَّ إنّ المالَ ليس بنـافعٍ إذا لم يَنلْ منـــه أَخٌ وصَـديق
وكنتُ إذا ضاقَتْ علىّ مَحَـلَّةٌ تَيممتُ أُخرى ما علىّ تَضيق
وما خاب بين اللهِ والنَّاس عاملٌ له فى التُّقى أو فى المَحـامد سُوق
ولا ضاق فَضلُ اللهِ عن مُتعفِّفٍ ولـكنّ أَخلاق الرجال تَضيق

(١) فى بعض أصول الأغانى : « « ادكرت » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « قام » مكان « حال » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « نأيته » مكان « رعيته » .
(٤) ماق : حمق .

مدح المهدى ثم هجاه

ثم مَدح المهديّ بعد ذلك بقَصيدة يقول فيها :

إلى ملكٍ من هاشم فى نُبوّة ... ومن حِمْيَرٍ فى المُلك والعَدَد[1] الدَّثْرِ
مِنَ المشترين الحمد تَنْدَى من النّدى ... يداه و يَنْدَى عارضاه من العِطْرِ
بَنَى لك عبدُ الله بيتَ خلافةٍ ... نزلتَ بها بين الفَراقد والنَّسر
وعندك عهدٌ من وَصاة محمد ... فَرعت[2] به الأملاكَ من وَلد النَّضر

فلم يَحْظَ منه بشىء ، فقال يهجُوه :

خليفةٌ يَزْنى بعمّاته ... يَلعب بالدَّبُّوق[3] والصَّوْلجانْ
أبدلنا اللهُ به غيرَه ... ودسّ مُوسى فى حِرِ[4] الخَيْزُران

هجاؤه المهدى ويعقوب بن داود

وكان بشّار قد قَصد المهدىَّ ووزيرَه يَعقوب بن داود بن طُهمان ، فمَدح يعقوب فلم يُعطه شيئاً ، ومرّ يعقوب ببشّار يريد منزلَه ، فصاح به بشار :

بنى أُميةَ هُبُّوا طال نَومُكمُ ... إنّ الخَليفةَ يعقوبُ بن داودِ
ضاعتْ خلافتكم يا قوم فالتَمِسوا ... خليفةَ الله بين الزِّق والعُود

هجاؤه صالح ابن داود

وكان المهديّ ولّى صالحَ بن داود ، أخا يعقوب ، البصرةَ . فقال بشّار يَهجوه :

هُمُ حَملوا فوق المَنابر صالحاً ... أخاك فضجّت من أخيك المنابرُ

سبب هجائه المهدى

ولازم بشّار بابَ يَعقوب مُدةً ، فلم يُعْطه شيئاً . فانصرف إلى البصرة مغضباً . فلما قدم المهدىّ البصرة أعطى عطايا كثيرة ووصل الشعراء . وكان ذلك كُله على يَدى يعقوب . فلم يُعط بشارا شيئاً من ذلك . فجاء بشار إلى حَلقة يونُس النَّحوى . فقال : هل هاهنا أحد يُحْتَشَم ؟ فقالوا : لا . فقال: « خَليفة يَزْنى بعمّاته » . البيتين .

(١) الدثر : الكثير من كل شىء .
(٢) الوصاة : الوصية . وفرعت : علوت بالشرف .
(٣) الدبوق : من لعب صبيان العرب .
(٤) الخيزران : من جوارى المهدى ، وهى أم ولديه : موسى ، وهارون .

فبلغ ذلك يعقوبَ . فدخل على المهدى، فقال : يا أمير المؤمنين، أبلغ من قَدْرهذا الأعمى المُشرك أن يهجو أميرَ المُؤمنين ! قال : ويحك، وما قال : قال : يُعفينى أمير المؤمنين من إنشاده . فقال : لا بحياتى أنشدنى . فقال : والله لو خَيَّرتنى بين إنشادى إيّاه وضَرب عُنقى لاخترتُ ضَرب عنقى . فَحلف عليه المهدىُّ بالأَيمان التى لا فُسحة فيها أن يُخبره . فقال : أمَّا لفظاً فلا ، ولكنّى أكتبُ بذلك . فكَتب ودَفعه إليه . فكاد يَنْشقّ غيظاً .

وقد قيل إنّ ذلك كان قبل أن يَنحدر المهدىُّ إلى البصرة . فَعزم على الانحدار إليها والنَّظر فى أمرها . وما وَكْدُه[1] غير بشار . فلما بلغ إلى البَطِيحة سَمِع ذاناً فى وقت ضُحى النّهار ، فقال : انظروا ما هذا الأَذان ! فإذا بشار يؤذِّن سكران . فقال له: يا زِنْديق ! يا عاضّ بَظْر أُمه ! عجبتُ أن يكون هذا لغيرك . أتلهو بالأذان فى غَير وقت الصلاة وأنت سكران . ثم دعا بابن نَهيك فأمره بضربه بالسَّوط . فضُرب بين يديه على صَدر الحَرّاقة[2] سَبعين سوطاً أتلفه فيها . وكان إذا أصابه يقول : حَسٍّ — وهى كلمة تقولها العربُ للشىء إذا أوجع — فقال له بعضهم : انظُر إلى زَنْدقته يا أمير المؤمنين ، يقول : حس ، ولا يقول : باسم الله . فقال : ويلك ! أطعامٌ هو فأُسمّى الله عليه . فقال له آخر : أفلا قلتَ : الحمد لله . فقال : أَوَنعمة هى حتى أحمد الله عليها ! فلما ضَربه سَبعين سوطاً بانَ الموتُ فيه ، فأُلقى فى سفينة حتّى مات ثم رُمى فى البَطيحة . فجاء أهلُه فحملوه إلى البصرة فدُفن بها .

وقيل : لما ضُرب بالسياط وطُرح فى السَّفينة قال : ليت عين أبى الشّمقمق رأتنى حيث يقول :

إنّ بشّار بنَ بُرْد تَيْسٌ أعمى فى سَفينَهْ[3]

(١) وكده : قصده . (٢) الحراقة : سفينة فيها مراى نيران يرمى بها العدو .

(٣) قال الجاحظ فى الحيوان : كان العرب إذا هجوا إنساناً بالغباوة أو بالنتن قالوا : إنما هو تيس . فاذا أرادوا الغاية فى الغباوة : قالوا : ما هو إلا تيس فى سفينة .

وقيل : إنه لمّا ضُرب ما بقى بالبصرة شريفٌ إلا بَعث إليه بالفَرش والكُسوة والهدايا .

وفاته

وكانت وفاته وقد ناهز التِّسعين سنة .

وقيل : مات سنة ثمانٍ وستين ومائة ، وقد بلغ نَيِّفاً وتسعين سنة .

وحَكى سالمُ بن علىّ قال : كُنّا عند يونُس ، فنَعى بشّارا لنا ناعٍ . فأنكر يونُس ذلك وقال : لم يَمُت . فقال الرجل : أنا رأيتُ قبره . فقال : أنت رأيتَه ؟ قال : نعم، و إلّا فعلىّ وعلىّ . وحلَف له حتى رَضِى . فقال يونُس : لليَدين وللفم[1] .

وحَكى بعضهم قال : لما مات بشار أُلقيت جُثته فى البَطيحة . فحمله الماء فأَخرجه إلى دِجلة البصرة . فأُخذ وأُتى به منزله ، فدَفنه أهلُه . وكان كثيراً ما يُنشدنى :

ستَرى حول سَريرى ... حُسَّراً يَلْطِمن لَطْمَا
يا قَتيلاً قتلتْه ... عَبْدةُ الحوراء ظُلما

فخرجت جنازتُه فما تَبعها أحدٌ إلا أَمة له سِندية عَجماء ، رأيتُها خلفَ جنازته تَصيح : وا سيّداه ! وا سيداه ! ما تُفصح .

وحَكى سالم بن علىّ قال :

لما مات بشار ونُعى إلى أهل البصرة تباشَر عامّتُهم وهنّأ بعضُهم بعضاً وحَمدوا الله وتصدّقوا ، لما كانوا مُنُوا به من لسانه .

شعر الباهلى فى الشماتة بموته

قال أبو هاشم الباهلّى فى قَتله :

يا بُؤسَ مَيْتٍ لم يَبْكه أحدُ ... أجَل ولم يَفْتقده مُفْتَقِدُ
لا أُمُّ أولاده بكَتْه ولم ... يَبْك عليه لفُرقةٍ وَلد
ولا ابن أخت بكَى ولا ابن أخٍ ... ولا حَميمٌ رقّت له كَبد

(١) مثل يقال عند الشماتة بسقوط إنسان . والمراد : أسقطه الله على يديه ورجليه .

بل زَعموا أنّ أهـلَه فرحاً لمّـا أتاهم نَعيُّه سَـجدوا

وقال أيضاً فى ذلك :

قد تَبِـع الأَعمى قَفا عَجْرَدٍ فأَصـبحا جارَيْن فى دَارِ
قالت بِقاع الأَرض لا مَرحباً بروُح حمّاد وبَشّـار
تَجاورَا بعـد تَنائيهما ما أَبغض الجارَ إلى الجار
صارَا جميعـاً فى يدَىْ مالكٍ فى النّار والـكافرُ فى النّار

ندم المهدى على قتله

وقيل :

لما قَتل المهدىُّ بشاراً بعث إلى منزله من يُفَتِّشه ، وكان يُتّهم بالزَّندقة ، فَوُجد فى منزله طُومار[1] فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . إنّى أردتُ هجاء آل سُليمان ابن علىّ فذكرتُ قرابتهم من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأمسكتُ عنهم إجلالاً له صلّى الله عليه وسلّم . على أنّى كنتُ قد قُلت فيهم :

دِينارُ آل سـليمانٍ ودِرْهمهمُ كالبابليّين حُفّاً بالعَفاريتِ[2]
لا يُبصران ولا يُرْجَى لقـاؤُهما كما سمعتُ بهاروتٍ ومارُوت[3]

فلما قرأه المهدىُّ بكَى وندَم على قَتْله ، وقال : لا جَزَى الله يَعْقوب بن داود خيراً ! فإنّه لمـا هَجاه لفَّق عندى شُهوداً على أنّه زِنديقٌ فقَتلتُه ، ثم ندمتُ حين لا يُغنى النَّدم .

شعره الذى فيه الغنـاء

وقد ذكر أبو الفَرج أَخباراً لبشّار مع عَبْدة ، ومع حَمّاد عَجرد ، ومع أبى هاشم الباهلى ، فى مواضع من كتابه تُذكر إن شاء الله فى مواضعها .

والشعر الذى فيه الغناء لبشار ، وأُفتتح به أبو الفرج أَخباره هو :

* حَوراءُ إن نظرت *

وقد تقدّم ذِكْر هذه الأبيات .

---

(١) الطومار : الصحيفة .

(٢) نسبة إلى بابل ، وهى ناحية فيها الكوفة والحلة ، تعرف بالسحر والخمر .

(٣) هاروت وماروت : ملكان . وقد ورد ذكرهما فى القرآن الكريم فى قوله تعالى (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) .